معركة العبور المجيدة

٦ أكتوبر ١٩٧٣ - ١٠ رمضان ١٣٩٣


بقلم

أحمد حسين

كما وردت في مذكراته
يوما بيوم وساعة بساعة

دار الشعب

٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠



الاهــداء

اليهما ..

الى روح أخى رمز الشهداء فى شبابى :

الدكتور مصطفى الوكيل ..


والى روح زوج ابنتى ، رمز شهداء الجيش فى شيخوختى :

الرائد طيار سامح مرعى عبد الرازق (١) ...

أهدى سطور المجد الذى عمــلا من أجله ، والذى تحقق فى أكتوبر ١٩٧٣

---

(١) استشهد فى حرب الاستنزاف عام ١٩٧٠



٦ أكتوبر
معركة العبور المجيــدة

قضى الأمر وانضم يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ـــ ١٠ رمضان ١٣٩٣ الى أيام مصر المجيــدة الخــالدة كيوم حطين ويوم عين جالوت حيث حطمت فى الأولى خطر الصليبيين ، وحطمت فى الثانية خطــر التتار وفى معركة العبور حطمت خطر الصهيونية .

ولسنا نريد فى هذه الكلمة أن نقــول الكثير ، ففى الصفحــات التالية حديث هذا الحــدث العظيم ، ولكننا نريد هنا أن نلفت نظر القارىء لهذا الكتاب الى نقطتين ، من حيث الشكل والموضوع .

أولا : من حيث الشكل ، فهذه التعليقات على سير الأحداث منتزعة من مذكرات خاصة اعتاد أحمد حسين أن يكتبها منذ عشرين سنة ، أى أنها لم تعد أصــلا للنشر من حيث الأسلوب فكان المؤلف يترخص فى استعمال الألفــاظ العــامية ولا يعــنى بالأسلوب .

ثانيا : من حيث الموضوع أن الأفكار والمعــانى وسير الحوادث كما ورد فى هذه اليوميات أصبح معروفا وشائعا ويتردد على كل لسان ، ولكن ذلك قد حدث بعد مرور الأيام والأسابيع حيث سنرى فى هذه المذكرات انها سجلت منذ اليوم الأول ، نسوق على سبيل المثال ان الدنيــا كلهــا تتحدث عن انتهاء خرافة اسرائيل ، ولكنك سترى أن المؤلف قد قرر هذه الحقيقــة فى أول تعليق له فى ٧ أكتوبر وتتحدث الدنيا اليوم كيف أن العرب قد استردوا كرامتهم ، وسترى المؤلف يسجل ذلك فى ٨ أكتوبر وهكذا ، وهذا ما لزم التنويه به .

بلاغات القيــادة العسكرية

السبت ١٩٧٣/١٠/٦ م ـ ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ :

بلاغ رقم (١) الساعة ٢٠ر٢ :

قام العدو فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر اليـوم بمهاجمة قواتنا بمنطقة الزعفرانة والسخنة فى خلـيج السويس بواسطة عدة تشكيلات من قواته الجوية عندما كانت بعض زوارقه البحرية تقترب من الساحل الغربى للخليج ، وتقوم قواتنا حاليـا بالتصدى للقوات المغيرة .

بلاغ رقم (٢) الساعة ٤٠ر٢ :

ردا على العدوان الغادر الذى قام به العدو ضد قواتنا فى كل من مصر وسوريا يقوم حاليا بعض من تشكيلاتنا الجوية بقصف قواعد العدو وأهدافه العسكرية فى الأراضى المحتلة ..

بلاغ رقم (٣) الساعة ٠٥ر٣ :

الحاقا للبيان رقم (٢) نفذت قواتنا الجوية مهامها بنجـــاح وأصابت مواقع العدو اصابات مباشرة ، وعادت جميع طائراتنا الى قواعدها سالمة عدا طائرة واحدة .

بلاغ رقم (٤) الساعة ٢٠ر٣ :

حاولت قوات معادية الاستيلاء على جـزء من أراضينا غرب القناة ، وقد تصدت لها قواتنا البرية ، وقامت بهجوم مضاد ناجح ضدها ، بعد قصفات مركزة من مدفعيتنا على النقط القوية المعادية ، ثم قامت بعض من قواتنا باقتحام قناة السويس ، مطاردة العـدو

الى الضفة الشرقية فى بعض مناطقها ، وما زال الاشتباك مستمرا على الضفة الشرقية لقناة السويس .

بلاغ رقم (٥) الساعة ١٥ر٤ :

نجحت قواتنا فى اقتحام قناة السويس فى قطاعات عديدة واستولت على نقط العدو القوية بها ، ورفع علم مصر على الضفة الشرقية للقناة . كما قامت القوات المسلحة السورية باقتحام مواقع العدو فى مواجهتها وحققت نجاحا مماثلا فى قطاعات مختلفة .

بلاغ رقم (٦) الساعة ٥ :

نتيجة لنجاح قواتنا فى عبور قناة السويس قام العدو بدفع قواته الجوية بأعداد كبيرة فتصدت لها مقاتلاتنا واشتبكت معها فى معارك عنيفة ، وقد أسفرت المعارك عن تدمير ١١ طائرة للعدو وقد فقدت قواتنا ١٠ طائرات فى هذه المعارك ..

بلاغ رقم (٧) الساعة ٣٥ر٧ :

نجحت قواتنا المسلحة فى عبور قناة السويس على طول المواجهة وتم الاستيلاء على معظم الشاطىء الشرقى للقناة ، وتواصل حاليا قتالها مع العدو بنجاح . كما قامت قواتنا البحرية بحماية الجانب الأيسر لقواتنا على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وقد قامت بضرب الاهداف الهامة للعدو على الساحل الشمالى لسيناء وأصابتها اصابات مباشرة .

بلاغ رقم (٨) الساعة ٤٥ر١٢ :

قام العدو بعد آخر ضوء اليوم بهجمات مضادة بالدبابات والمشاة الميكانيكية ضد قواتنا التى عبرت قناة السويس ومن اتجاهات مختلفة وقد تمكنت قواتنا من صد جميع هذه الهجمات وتدمير العدو وتكبيده خسائر كبيرة فى الأفراد والمعدات ، وما زالت قواتنا تقاتل بنجاح من مواقعها على الضفة الشرقية للقناة .

بلاغ رقم (٩) الساعة ٣٠ر٧ :

وتضمنت نتائج معارك القناة فى يومه الاول وشملت اسقاط ٢٧ طائرة للعدو وتدمير ٦٠ دبابة وتدمير ١٥ موقعا حصينا شرق القناة الى جانب عدد من الأسرى بينما كانت الخسائر المصرية ١٥ طائرة مقاتلة وبعض طائرات الهليكوبتر وبعض الخسائر فى الافراد ».

وفيما يلى نص البلاغ :

أولا : حوالى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم ١٠ رمضان سنة ١٣٩٣ هجرية ، الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ميلادية قام العدو الاسرائيلى بهجوم غادر على كل من مصر وسوريا .

ثانيا : نجحت قواتنا فى صد هذا الهجوم ببعض الخسائر فى الأفراد .

ثالثا : وبعد أن اتضحت نية العدو قرر القائد الأعلى للقوات المسلحة الرد بقوة على هذه الاعتداءات المتكررة ، فقامت قواتنا بشن هجوم شامل على طول جبهة القتال ، واقتحمت قناة السويس تحت سند من قصف الطائرات والمدفعية ، ومساعدة القوات البحرية والدفاع الجوى ».

رابعا : نجحت قواتنا المسلحة فى عبور القناة والاستيلاء على معظم الشاطىء الشرقى وواصلت قتالها ، وتدعيم مراكزها شرق القناة .

خامسا : وفى ليلة ٧/٦ استمر قتال قواتنا مع العدو ودارت معارك عنيفة قام العدو بهجمات مضادة محاولا استعادة الموقف ولكنه فشل وتمكنت قواتنا من صد هجمات العدو مع تكبيده خسائر كبيرة فى الافراد والمعدات .

سادسا : قامت قواتنا البحرية بتدمير خمس قطع بحرية للعـدو في البحر الابيض المتوسط وقامت بقصف بعض المناطق المعادية بالشاطىء الشرقى لخليج السويس .

سابعا : ونتيجة لهذه المعارك وصلت نتائج القتال منذ بدئه الآتى :

خسائر العدو :

اسقاط ٢٧ طائرة للعدو ـ تدمير ٦٠ دبابة ، وتدمير ١٥ موقعا حصينا شرق القناة وعدد من الأسرى يجرى حصره ، علاوة على تكبيده خسائر جسيمة فى الأرواح ، بينما كانت خسائر قواتنا ١٥ طائرة مقاتلة ، وبعض الطائرات الهليكوبتر ، كما تكبدت قواتنا بعض الخسائر فى الافراد .

ثامنا : ما زالت قواتنا تتدفق عبر القناة وتواصل تقـدمها والاشتبكات الارضية والجوية مستمرة .

انتهت البيانات العسكرية الخاصة بهذا اليوم المجيد .

تعليق من

مذكرات أحمد حسين

الفصل الأول

— ١ —

الأحد ١٩٧٣/١٠/٧ م — ١١ رمضان ١٣٩٣ هـ :

انتهاء خرافة اسرائيل كدولة عظمى

كانت اسرائيل قد نجحت فى تصوير نفسها أمام نفسها وأمام العالم انها قد أصبحت قوة عظمى يجب أن ترهبها الدول على الأقل فى الشرق العربى ، وفى هذه المذكرات كتبت تحت عنوان « اسرائيل الفاجرة » على مرتين فى يومى ٧/٢٩ ، ٩/١٩ ما يدل على احساسى بأن سقوطها بات وشيكا ، ولم يكن ذلك من نوع التنبؤ بمقدار ماهو أقرب الى الحساب ، فليس هناك ما يدمر الفرد والجماعة أكثر من الغرور . ولا جدال أن اسرائيل وصلت الى ذروة الغرور مؤخرا فخلعت عنها رداء التواضع والاستكانة وراحت تتحدى العالم بشتى الأشكال وكان آخر ما قاله أحد جنرلاتها أنه باستطاعة اسرائيل أن تحتل المشرق العربى كله فى اسبوعين .

وقامت القيامة فى يوم السبت ٦ اكتوبر على يد مصر وأحسب ان ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ سيظل يوما أسود فى حياة اسرائيل مابقيت على قيد الحياة ، والشىء المحقق والمؤكد أن اسطورة اسرائيل والقوة الخرافية التى توهمتها فى نفسها وتوهمها الكثيرون قد انتهت نهائيا ، وما أسعدنى أن يتم ذلك بسواعد المصريين وبالهام من الله لأنور السادات ، لأنى لأتصور ما حدث لاسرائيل هو مشيئة الهية أجراها الله على خاطر أنور السادات ولسانه عندما أصدر قراره الرهيب بالاشتباك مع اسرائيل وتعدية قناة السويس الى شاطئها الشرقى ، وأريد أن أسرع واقرر أن

أنور السادات فاجأ الدنيا . بل لقد فاجأنا نحن المصريين وكان أن حقق الهجوم اهم أهدافه وهو تحطيم خرافة اسرائيل ليس فقط أمام العالم بل أمام الاسرائيليين أنفسهم ، وحسبى أن اقرر أن حربا شاملة تجرى مع اسرائيل منذ اربعة وعشرين ساعة وبالرغم من ذلك فهانذا أجلس على مكتبى كعادتى اليومية لأكتب عن خيبة اسرائيل بكل هدوء فاذا علمت ان الجيش المصرى يجثم الآن على ضفة القناة الشرقية ولم يحتج ذلك منه الا بضع ساعات أدركت مصيبة اسرائيل .

ومنذ عام ٦٧ أى على امتداد ست سنوات واسرائيل تقف على الشاطىء الشرقى لقناة السويس بعد أن خربت مدن القناة ووقفت وراءها أمريكا بكل قحة وتبجح تمدها بسلاح لا حد له وتعلن انها (أى اسرائيل) يجب أن تكون أقوى من جميع العرب مجتمعين .

وأنشأت اسرائيل خط تحصينات فى شرق القناة سمعنا عنه الأعاجيب اطلقوا عليه اسم « خط بارليف » وكان أبسط ما قالوه عنه ان به خط انابيب للبترول يتدفق عند الطلب فى مياه القناة فاذا فكر المصريون فى عبور القناة أحالوها جحيما ، وهاهم المصريون قد عبروا القناة بقضهم وقضيضهم .

اننى أعتبر ذلك أيا كان ما سوف يحدث فى المستقبل نهاية لخرافة اسرائيل .

على أن بعض ظواهر اخرى تدل على أننا تبادلنا المراكز فأصبحت اسرائيل فى مركزنا عام ١٩٦٧ واخذنا نحن مركز المنتصر . وارى أن أنتظر بضع ساعات أخرى قبل أن أسجل خواطرى .

— ٢ —

الاثنين ٨ أكتوبر ١٢ رمضان ١٣٩٣ :

السادات يرد للعرب كرامتهم

واليوم هو ثالث أيام المعركة وقد انتصف فأنا أكتب بعد الظهر ، ولقد نمت بالأمس نوما عميقا حيث لم يغمض لى عين فى الليلة السابقة فقد ظللت طول الليل ساهرا أستمع لكل محطات العالم فى الراديو فقد كنت مشفقا من وقوع مفاجاة فى اى لحظة . فقد كان يوم السبت يوم عطلة كاملة بالنسبة لاسرائيل وعلى الرغم بأن الهجوم قد أبطل العطلة ، ولكنها عطلة على كل حال تنتهى فى منتصف الليل ، وبالفعل ظل القتال دائرا طول الليل ، وما أكثر ما صدعونا من تفوق اليهود فى القتال الليلى ولكن ظهر افلاسهم فى ذلك . وحل فجر الأمس وأنا أتوقع مع أول شعاع الانباء التى تترى عن افاعيل سلاح الطيران اليهودى ولكن لم أسمع شيئا الا فيما بعد عن أنباء اشتراكه فى المعارك ومضى الأمس بين القلق والتوتر والأمل والرجاء وكيفما كان الأمر فقد نمت نوما عميقا ليطالعنى بلاغ اسرائيل ليقول فى كل برود « كانت ليلة أمس ليلة هادئة توقف فيها القتال وانتهزت اسرائيل هذه الفرصة لتعيد تنظيم قواتها » وتنفست الصعداء فقد انتهت ذروة التجربة ، بعد أن فعلت اسرائيل أقصى ما عندها دون أن تصل الى نتيجة حاسمة وفى ظل الوهم الجديد راحت الاذاعة الانجليزية اما عن عمد واما عن جهل تردد ما تقوله اسرائيل من انها حطمت الجسور المقامة على قناة لسويس لكى تشرع بعد ذلك فى تصفية القوة المصرية وامتلأت بالخوف ان يكون ما حدث بالفعل هو مجرد خدعة أريد بها استدراج الجيش المصرى لتحطيمه وجسم الخوف فى نفسى ما أذاعه التليفزيون من صور للمعابر التى

عبر عليها الجيش المصرى الى سيناء حيث كانت تبدو وكأنها فى الخلاء والعساكر والمصريون يتنزهون عليها كما لو كانوا فى رحلة للقناطر الخيرية ، ولما كان هذا شىء لا يصدق فقد خفت بالفعل أن يكون فى الأمر خدعة ولم أطمئن اليوم الا بعد أن سمعت أن نيكسون أصدر أوامره لدعوة مجلس الأمن لايقاف القتال على الفور ، ان أمريكا لم تتحرك الا لأن القتال لا يجرى فى صالح اسرائيل، والا لتركت اسرائيل تصفى الجيش المصرى كما يزعمون ، ولا أريد أن أتوسع اليوم فى الكتابة ، فلننتظر انقضاء اليوم لأنه اذا اسفر المصريون والسوريون فى أماكنهم ولا أقول يتقدمون فسوف يكون فى ذلك لانهاية اسرائيل وخرافتها كدولة عظمى ، بل كمجرد دولة تستطيع أن تحمى نفسها ، اذا انقضى اليوم دون أن يفلح الطيران الاسرائيلى فى احداث تأثير كبير على سير الحوادث فسيكون فى ذلك درس فى الأدب لاسرائيل وليس أدل على أن اسرائيل ملبوخة ان طيرانها لم يظهر حتى الآن فى سماء القاهرة ليحطم على الأقل الكبارى والجسور وطرق تموين الجيش ، فهذا هو الدليل على انهم فى حاجة لكل طائرة فى سماء المعركة ، بقى أن يقال ان اسرائيل تتعفف عن ضرب المدنيين ، وليس فى تاريخ اسرائيل اى بادرة تدل على انها تتعفف عن شىء ، فلم يبق الا أنها لا تريد أن تفتح هذا الباب لئلا تفاجأ بما ليس فى حسبانها بعد أن فوجئت فى كل ماحدث حتى الآن والى الغد ..

الساعة السادسة مساء :

قلت فى مذكرتى بالأمس اننا تبادلنا المراكز نحن واسرائيل ولم أكن أتصور أن هذا التعبير سيكون بكل هذه الدقة فحيث استولى الجيش المصرى على آخر موقع اسرائيلى فى الضفة الشرقية للقنال وأسرنا كل من كان فيها واستسلم من استسلم ، فى هذا الوقت الذى فشلت فيه كل هجمات اليهود المضادة وتتساقط فيه طائراتها

تساقط الذباب ويقع الطيارون فى الأسر ويتحدثون عن انهيار روح الطيارين المعنوية مما يؤيده الواقع ، حتى ليسقط الأردن بعض هذه الطائرات فى هذا الوقت بالذات يقرر مجلس الوزراء الاسرائيلى أن تعبر جنوده قناة السويس نحو الغرب ، وهكذا بعد أن لم يعد لهم جندى واحد شرق قناة السويس وبعد أن ظهر افلاسهم يتحدثون عن احتلال غرب القناة ، ولا شك أن هذا كلام يقال للشعب اليهودى داخل فلسطين نفسها ، والا فالعالم كله يعرف الآن الحقيقة وهى ان اسرائيل لن تستطيع الحياة اليوم الا تحت الحماية بعد أن سقطت اسطورتها ، ما أمر الفشل انه يحول عتاة المغرورين الى حشاشين .

— ٣ —

الثلاثاء ١٩٧٣/١٠/٩ م ـ ١٣ رمضان ١٣٩٣ هـ :

اليوم الرابع من أيام القتـــال

يقتضينى واجب التاريخ أن أعقد مقارنة بين ماكنا عليه فى يونية ١٩٦٧ وبين ما نحن عليه اليوم .

كانت المشاعر قد عبئت ضد اسرائيل وركبت الميكروفانات فى الميادين ليبلغ الشعب أولا بأول تفاصيل سحق اسرائيل ، وأنا نفسى سبحت مع التيار ، واستيقظت صباح ٥ يونيو لأسمع بعض طلقات مدافع اعتبرتها تجربة كانوا قد أعلنوا عنها ، ولكنه قيل لى . واذا لم تخنى الذاكرة فقد كان من أبلغنى هو ابنى الروحى فايز محمد على اذ قال لى ان اسرائيل تهاجمنا وما زلت أذكر أننى فى بادىء الامر حاولت أن أخطئه : ولكنه قال ان ذلك قد اذيع فى الراديو ، واسرعت نحو الراديو فاذا الاذاعة تتحدث عن اسقاط عشرين طائرة اسرائيلية ثم خمسين ثم مائة وأضعاف ذلك ، ورحت أتسمع فى الاذاعات الاجنبية ، فاذا بها تتحدث عن سلاح الطيران المصرى الذى دمر على الارض عن بكرة أبيه .

كم بكيت فى ذلك اليوم وحبست نفسى فى شقة خالية ورحت أولول وأندب وأنادى الموت وما زلت أذكر كيف ان أخى الأستاذ أحمد عشرة والذى رفض أن يصـــدق ما يقال راح يواســـينى ويشـجعنى .

هذا ما كان . أما اليوم ففى غير ضجيج أو عجيج وفى بساطة وتواضع مذهل يعطى أنور السادات أمره للجيش أن يتقدم للقيام

بعملية وصفتها جولدا مائير بأنها جنون ولكن العملية تمت ومن الظلم أن نصفها بأنها عملية ، بل هى معجزة أجراها الله على يد أنور السادات واننى لفرح به وله . والعالم حتى لايكاد يصدق ما حدث ، انه يرفض أن يصدق فعصر المعجزات قد انتهى وبكل الحسابات وبكل العقول الاليكترونية لا يمكن أن يحدث هذا الذى حدث ، ولكنه حدث .

(أبلغت الآن على سبيل المثال أن الراديو قد اذاع نبأ سقوط ضابط برتبة لواء أسيرا) .

وعلى اية حال فنحن اليوم نقاتل لليوم الرابع ولم تنطبق السماء على الأرض ، وتمضى الحياة وكأن لا حرب الى درجة أن الناس كلها لا تصدق ، ولكن كل يوم يمضى يدخل الحقيقة الى أرواح الناس .

مذاق جديد ومعنى :

لقد اصبح لكل شيء مذاق جديد الأناشيد التى كنا قد امتلأنا منها ، وهى تحدثنا عن الفجر والفداء وعظمة مصر الى آخر هذه المعانى أصبحت فى يوم وليلة وكأنها تصور ما حدث بالفعل .

الساعة ١٢ ظهرا :

استمعت الآن الى الراديو فاذا الخبر الخاص باللواء أضخم مما فهمت فالمقصود باللواء هو مجموع تشكيل دبابات وقد أسر قائده بالفعل وأعلن البلاغ اسمه وحطم ما حطم من دبابات وفر من فر والمهم أن ذلك حدث هذه المرة على بعد ١٥ كيلو نحو الشرق اى فى عرض الصحراء وهكذا نشهد تدهورا كاملا لا شك أن هذا الحادث يكشف كيف ان قلوب اليهود أصبحت تنخلع من الرعب لمجرد رؤيتها الجيش المصرى ولقد عشت ليلة أمس فى قلق لكثرة ما أسمع اذاعات انجلترا وأمريكا وهما يخفيان حقيقة ما يجرى حتى الآن تحت عنوان « تناقض البيانات » ثم يقولون البيانات المصرية ثم يرددون البيانات الاسرائيلية التى وصلت الى صورة لم تصل اليها

مصر فى أى لحظة من لحظات ارتباكها فلا زالت اسرائيل تتحدث عن سحق الجيش المصرى وعزله على شاطىء القناة وتصدر الحكومة أمرها للجيش بتعدية قناة السويس الى الشاطىء الغربى، وعندما تحتل مصر آخر موقع ظل محاصرا منذ يومين الى أن استسلم آخر من فيه وهم ثلاثون اسرائيلى ويرفع العلم على المدينة ، نجد اسرائيل لديها من التبجح ما يجعلها تصدر بيانا تتهكم فيه على تسمية القنطرة شرق بأنها مدينة وهى ليست الا شبح مدينة .

بل فعلت اسرائيل ما هو أكثر من ذلك فأعلنت اعادة فتح المدارس واعادة المواصلات وفتح المصانع من جديد كدليل على أن الحرب انتهت لصالح اسرائيل ، ولا شك ان ما يهم الآن ليس هو فقدان ثقة العالم الخارجى فيما يقولون ، كل الذى يعنيهم الآن هو اخفاء حقيقة ما يجرى على الشعب داخل اسرائيل فالانتخابات قادمة ، ويعز على موشى ديان وبقية الطغمة العسكرية أن يفقدوا عرش الألوهية الذى تربعوا عليه خلال ست سنوات . ان ما يبقى على اسرائيل متماسكة حتى الآن هو اطمئنانها الى أن أمريكا بكل ثقلها فى انتظار اشارة منهم لتكون الى جوارهم فى بضع ساعات وهم يحاولون الآن جاهدين ان يؤخروا هذه الاستغاثة ولو لمدة يومين آخرين ، ولكنى أتصور الآن أن هذه النكبة الجديدة نكبتهم فى هذا اللواء المدرع والظروف المحيطة به ستعجل بهذه الاستغاثة والآن فلننتظر بقية أحداث النهار .

الخامسة مساء :

من المؤكد أن اسرائيل وقد فشلت عسكريا فسوف تحاول أن تغطى هذا الفشل من ناحية ولتشفى غيظها من ناحية أخرى وتحافظ على بقية من هيبة سلاحها الجوى أن تضرب الأهداف المدنية وهو ما فعلته بالفعل امس فى بورسعيد واليوم فى دمشق ،

ولقد دوت صفارات الانذار اليوم مرتين فى القاهرة لمدة قصيرة لم يحصل فيهما شيء ولكن ذلك آت لا ريب فيه وسوف يكون ضرب أناس جبناء مغيظون كل هدفهم أن يدمروا العالم كله لو استطاعوا الى ذلك سبيلا ولو كنت بصحتى لما تحركت من بيتى ولكن ما أنا فيه من عجز سوف يسبب ارتباكا لكل من حولى . ومن ناحية أخرى فلست أخشى الموت بل انى أتمناه والانسان لا يشعر اذا مات ولكن ما ترتجف منه أعصابى الضعيفة هو الاصابات غير القاتلة ويكفى ما بى ولذلك فأفكر فى الانتقال من هذا الدور العلوى .

لا جدال أن اسرائيل تعتبر هضبة الجولان هى الاخطر عليها لأنها تتحكم فى اسرائيل نفسها ، ومن هنا فقد دارت فى سمائها معارك جوية عنيفة ، ولكن صوت سوريا ظل طوال الايام السابقة قويا ومرتفعا ، وسواء بالغ السوريون فى بياناتهم أم لا ، حيث بلغ ما أسقطوه فى الايام السابقة على حد قولهم ما يناهز المائة طائرة ، ولكن الذى لا شك فيه أن لدى سوريا بضعة عشر طيارا وقعوا أسرى ، كما لديهم ركام من حطام الطائرات ، كل ذلك قد دب اليه الوهن اليوم ، وهاجمت الطائرات الاسرائيلية دمشق وحمص ، وعطلوا اذاعة دمشق بعض الوقت ، وهذه أول بادرة سيئة ، فيا حبذا لو دخل الأردن الحرب .

— ٤ —

الأربعاء ٩/١٠/١٩٧٣ م – ١٢ رمضان ١٣٩٣ هـ :

وانهار أخيرا قادة اسرائيل

أدرك الآن لماذا أبقاني الله حيا ، فقد أراد منى أنا بالذات الذى عشت طول حياتى أؤمن بالله وبمصر وشعب مصر أن لا أغمض عينى قبل أن أرى بالفعل الله وان ألمس باليد عظمة مصر وشعبها ، فليس الا أعمى من لايرى الله وبالأحرى لايرى ارادته وقوته وأنه هو وحده الذى ينظم كل شىء ويسير كل شىء .

كل هذه القوة كل هذا النظام كل هذا الابداع بحيث يفرك العالم كله عينيه من فرط الدهشة غير مصدق أهذه هى مصر أهذا هو الشعب المصرى ، لا ألمانيا فى عز أمجادها العسكرية ، ولا اليابان ولا أى شعب آخر يمكن أن يفعل ما يفعله المصريون الآن ، والذين بدأوا من تحت الصفر وما دون الصفر ، انى أنا نفسى حتى الآن لا أتصور ولا أستطيع أن أتصور ما يجرى الآن وهذا ما يجعلنى أقول اننى أرى الله فى كل ما يحدث فهو الذى يضرب وهو الذى يهزم وشاءت ارادته أن يجرى ذلك على يد انور السادات ورجال مصر وشبابها وهى سنة الله أن يتجلى الله من خلال البشر فنحن نقول أشهد ألا اله الا الله محمد رسول الله ، لان سيدنا محمد رسول الله ، لان سيدنا محمد الانسان هو الذى عرفنا طريق الله ورأينا الله من خلال المعجزات التى أجراها على يد سيدنا محمد وها هو يجريها فى رمضان عام ١٣٩٣ هجرية على يد رجل حرص أن يبرز فى أسمه اسم محمد ، وذلك لتتم المعجزة الالهية كاملة .

واعود الى ماجعلته عنوانا لهذه السطور وهو انهيار قادة اسرائيل أخيرا لقد تصوروا فى الأيام الثلاثة الأولى انهم سيستطيعون أن يواجهوا الموقف بشىء من الأكاذيب واخفاء الحقائق ، ولكنى قلت ان الله هو الذى يضرب وما كان لاسرائيل ولا من أعظم من اسرائيل أن يفعل شيئا لقد راحوا يرسلون أفواج الطيران الفانتوم التى كانوا يخلعون قلوب العرب بمجرد أزيزها فاذا بها لا تعود أو بالأحرى لا يعود الجزء الأكبر منها ، وأرسلوا فرق المدرعات لتعبر الى ضفة القناة الغربية فعبروها بالفعل ولكن وهم واضعوا أيديهم على رؤوسهم كما يتحتم على الأسير أن يفعل ، والشراذم التى نجت عادت الى اسرائيل لتنشر الفزع فى قلوب القادة هذه المرة ومن هنا فقد تغيرت الصورة ورأى اليهود أن لا محل للمناورة، ولم يبق لديهم وقت الا للاستغاثة ذلك انه لو دخلت الاردن الحرب اليوم أو غدا فان اسرائيل تصبح فى حالة الدفاع عن النفس .

وأمريكا التى كانت حتى الأمس تطالب المصريين والسوريين بالعودة الى حدود وقف النار سترى نفسها أن تستعمل كل ثقلها وقوتها بالتعاون مع روسيا أن يقبل العرب بحدود ١٩٦٧ .

وانى أدع الآن الحديث عن وقائع اليوم العسكرية الى ما بعد الظهر ولكن ما أريد أن أقوله الآن ، انه اذا مضت الامور بنفس المقياس ودخلت الاردن الحرب فان أمريكا وليست اسرائيل هى التى ستهتز من الأعماق لا أقول سياسيا فلو دخل الاردن الحرب فستكون السعودية معه وهذا يساوى انهيار السياسة الامريكية ، ولكنى أقول عسكريا فبعد أن فشلت طائراتها وأسلحتها فى فيتنام فهاهى ذى تفشل فى مصر ولم يعد السلاح الامريكى يخيف أحدا فالعبرة ليست بالسلاح مهما كانت جودته وفاعليته وانما العبرة بالروح ، والروح من أمر ربى الذى منحنا اياها .

وكما قلت أن اسرائيل ستدفع ثمن فجرها وطغيانها ، فكذلك أقول الآن ان امريكا ستدفع ثمن طغيانها وستدفعه غاليا ان لم

تبادر بالحد من هذا الطغيان الذى هو جنون والا فبماذا تسمى هذا الذى تفعله أمريكا اذ يجتمع مجلس شيوخها ليقرر باجماع الديمقراطيين والجمهوريين أن تنسحب مصر وتعود الى ما كانت عليه ، وعلى أمريكا أن تختار أحد وصفين لقولها هذا طغيان أو جنون وكلا الأمرين عاقبته وخيمة ولذلك فأنا أرجح أن أمريكا ستغير رأيها اليوم الا اذا كان الله يريد شيئا لا ندريه .

الخامسة مساء :

مر اليوم هادئا نسبيا وهو النتيجة الطبيعية لكارثة اسرائيل فقد رأوا من الحماقة أن يواصلوا تعاميهم عن الحقيقة وأن يظللوا فى غرورهم فيدفعون بفرقهم المدرعة لكى تذوب فيقع بعضها فى الأسر بينما يدمر البعض الآخر ورأوا أن يقفوا قليلا ليلتقطوا انفاسهم ويعيدوا حساباتهم على أساس الواقع الجديد . ولا بد انهم يخافون من تدخل الاردن فرأوا أن يحتفظوا بما لديهم من جيوش لمواجهة هذا الخطر الجديد .

ولذلك فقد اقتصر نشاط اسرائيل على ارسال بضع طائرات هنا وهناك وهو ما كانت اسرائيل تمارسه بمفردها طوال السنوات الست السابقة ، اما هذه المرة فما من غارة تقوم بها أو الجزء الأكبر منها على الأقل الا وتسقط لها طائرات والطائرات يمكن تعويضها وليس كذلك الطيارون ولذلك فسوف تلجأ اسرائيل الى المرتزقة وثمة فارق آخر فى هذه الغارات وهو أن الطيارين فقدوا الثقة بأنفسهم وامتلأوا رعبا من الطائرات التى سقطت فأصبح أكثر ما يعنيهم هو السلامة فراحوا يرمون قنابلهم حيثما اتفق ومن ارتفاع شاهق ثم يبلغون رؤساءهم أنهم قاموا بالمهمة وتصدر البلاغات بذلك ولكن هذه البلاغات فقدت الكثير من دقة وبالتالى هيبة وأنا من ناحيتى لم اعد أحفل بها خاصة وانها لم يعد لهـا

اى اثر على سير العمليات ، ولم تعد تخيف أحـدا وهى تسبب لاسرائيل من الضرر ما يفوق ما تنزله بها ضربات خصومها .»

اما الدنيـا تلطش :

من ذلك على سبيل المثال أن اسرائيل أرسلت بعض طياريها لضرب أهداف ما ولكن الطيار الجبان المذعور رمى قنابله على حى سكنى مائة فى المائة وتقيم فيه السفارات فكان أن دمر تماما عشرة مساكن لدبلوماسيين اجانب ابتداء من الروس والنرويج حتى الهند وباكستان وغيرهم ولو انفق العرب الملايين للدعاية ضـد اسرائيل لما وصلوا لبعض ما ناله الاسرائيليون من انفسهم الى الحد الذى جعلت المندوب السوفييتى فى مجلس الأمن يقول لمندوب اسرائيل الذى راح يشقشق بكلامه المألوف السمج من انه يعزى كل من مات فقاطعه المندوب السوفييتى بقوله اننى لا اريد أن اسمع كلام رجل يمثل مجموعة عصابات وقطاع طرق ، حقا لمـا الدنيا تلطش اعاذنا الله .

— ٥ —

الخميس ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ (١٣ رمضان ١٣٩٣) :

صورة كل شيء تتغير

ما أسعدنى أن تسير حساباتى وتقديراتى بكل هذه الدقة فقد تحدثت بالأمس عن أن حركات اسرائيل الأخيرة تدل على أن عدم الثقة قد امتد الى قادة اسرائيل ولم ينته اليوم حتى كانت اسرائيل تعلن بالفعل للدنيا أن فقدان الثقة قد امتد للقيادة ، فأعلنت أنها أعادت جنرالات عام ١٩٦٧ لتولى القيادة بعد أن كانوا أحيلوا على التقاعد ووصل بعضهم الى كراسى الوزارة مثل بارا صاحب (الخط اياه) الذى وصفه موسى ديان بعد سقوطه أنه اثبت أنه كالجبنة الهشة فيه من الثقوب أكثر مما فيه من تحصين مع أن المراسلين الأجانب الذى أخذتهم مصر ليروا بعينى رأسهم مدى مناعة الخط وقفوا لا يصدقون أنفسهم ان بشرا من أى نوع كان يمكن أن يقتحموا هذا الخط .

المهم أن بارليف هذا انتقل من كرسى الوزارة ليتولى القيادة وقد أراد موسى ديان الاله الذى ذل فقد كان ينسب اليه انه هو صاحب معجزة ١٩٦٧ ولم يتردد فى كل قحة وغرور أن يقول عندما بدأ الهجوم المصرى انها مسألة ساعات لطرد المصريين على أعقابهم ومسألة يومين للفراغ من الحرب . ثم كان ما كان فعندما يعهد الآن بالقيادة الى بارليف وبقية زمرة ٦٧ فهو يريد أن يجردهم كما تجرد من هالة ٦٧ ومن ناحية أخرى يستخدمون هذه الأسماء فى اعطاء جرعة جديدة من الأمل للجماهير اليهودية التى فجعت تماما كما فجعنا نحن عام ١٩٦٧ . والمهم انه لم يحدث فى كل تاريخ الحروب أن غيرت قادة الجيوش وهم فى صميم المعركة . ولكن قادة

اسرائيل لم يفقدوا فقط الثقة فى انفسهم بل انهم فى الطريق لفقدان عقولهم .

الصورة العامة فى اليوم السادس :

والصورة العامة للحرب فى يومها السادس بدأت تأخذ صورة جديدة سواء فى ميادين القتال أو ميـادين السياسـة أو ميادين الدعاية .

فى ميادين القتال ـ أولا فى الجبهة المصرية :

اختفى عنصر الاثارة والف المصريون طعم الانتصارات الضخمة كتعدية القناة واقتحام خط بارليف ، واسقاط الطائرات وتدمير لواء كامل من المدرعات وأسر قائده ، وتساقط الأسرى بالمئات ، وقد رأوا صور ذلك كله فى الصحف والتليفزيون فأصبح عندما يقال لهم حطمنا ٢٠ دبابة أو عشر طائرات فقد أصبح ذلك عندهم شيئا مألوفا بل وتافها قتل الانسان ما اكفره ، لقد نسينا كم كانت فرحتنا لا حد لها عندما نشروا ورأينا على التليفزيون صورة اسيرين اثنين .

وخلاصة الموقف بعد ستة أيام أعلن اليهود خلالها أكثر من مرة انهم طردوا المصريين أو سوف يطردوهم فان المصريين أصبحوا راسخين فى الضفة الشرقية واختفت طائرات اسرائيل من سماء المعركة بحيث أصبحت ألوف السيارات تروح وتجىء فوق الجسور العائمة دون أن تجرؤ طائرات اسرائيل على اعاقة هـذه الحركة الضخمة بعد أن تحولت القناة الى مقبرة لطائرات العـدو وذلك بفضل صواريخ سام .

والموقف الآن فى سينا ـ فى تصورى ـ هو أن اسرائيل قررت أن تحارب فى سينا حرب تعويق أى بالقدر الذى لا يجعـل الجيش المصرى يصل الى فلسطين (قطاع غزة) وخطة المصريين ان لا يذهبوا

الى هذا المدى حتى يظلوا فى حماية الصواريخ ولذلك فقد جعلوا هدفهم ممر متلا على بعد ٢٠ كيلو شرق القناة .

وكان طبيعيا (والغربال الجديد له شدة) أن يجرب بارليف حظه فى القيام بحركة ولذلك فقد حدثتنا آخر البلاغات عن معركة جديدة بالدبابات بدأت أمس ليلا واستمرت حتى الصباح وحدثونا أنها انتهت لصالحنا وتدمير ٢٠ دبابة ولكنهم لم يحدثوننا عن أسرى مما يدل على أن هذه عينة جديدة ، وكما قلت ان مجىء قائد جديد مشهور تصحبه هالة ولكن يمكن القول انها بهذه المعركة قد انتهت .

فى الجبهة الســورية :

يختلف الوضع فى الجبهة السورية وكان لابد لها أن تختلف فحيث لا تشكل سينا خطرا مباشرا على اسرائيل فان سـقوط الجولان يشكل ضربة فى صميم اسرائيل اذ تطل على مستعمراتها ، ومن هنــا فالقتال يجـرى بضراوة وهو ما بين كر وفر وأعلنت جولدا مائير بنفسها هــذه المرة أنها (أى اسرائيــل) عادت الى خطوط ما قبل القتال وان الجيوش الاسرائيلية لن تتوقف وسواء صح هذا الكلام أو لم يصح وكان أكذوبة جديدة ، فالذى لا شك فيه انه لن يكون خاتمة المطاف والحرب مستمرة وعجلتها لم تتحرك بعد بكل قوتها .

كل الأنظار تتجه للأردن :

وتتجه الآن كل أنظار العرب بل الدنيا كلها للاردن واسرائيل فى فزع من أن تدخل الحرب ، ان جولدا مائير لا تزال تعيش فى أوهام الماضى فهى تذكر الملك حسين بما جرى عام ٦٧ ، وتهديد مائير لم يعد يساوى شيئا ولكن أمريكا ضغطت على انجلترا لتحظر تصدير الأسلحة الى الدول المشتركة فى الحرب وهو تهديد موجه فى الدرجة الى الاردن لأن روسيا هى موردة السلاح لمصر وسوريا وأمريكا هى موردة السلاح لاسرائيل فليس لهذا الحظر أى معنى

الا انه تهديد للاردن وهذا التهديد قد يفيد لمنع الاردن من الاشتراك في الحرب لمدة يوم أو يومين ، ولكن اشتراك الاردن آت لا شك فيه اذا امتدت الحرب ولم تتوقف .

ما الذى أعنيه بتغير الصـــورة :

والآن ما الذى أعنيه بتغير الصورة . لقد كانت اسرائيل وكل من فيها يعيش فى وهم كبير وتصرفت فى الأيام الأولى فى حدود هذا الوهم ، أما الآن وبعد أن تجـرع الاسرائيليون جرعة الذل وتهاوت أحلامهم كبيت من ورق فقد بدأوا يعودون الى حجمهم الطبيعى ويواجهوا الواقع وهو أن يحاربوا دفاعا عن كيانهم وهو ما شرعوا يفعلونه بالفعل ومن شأن غريزة البقاء أن تمنح صاحبها بعض القوة وهو ما نشهد بعض آثاره فى الجبهة السورية .

انقلاب النغمة فى الدعاية :

وعادت اسرائيل الى نغمتها القديمة وهى المسكنة واثارة عطف الناس عليها ، ولكنها رأت تمهيدا لذلك أن تتخفف من رداء العظمة أولا فبدأت تعلن عن خسائرها الفادحة وبدأنا نســمع من غلاة أنصارها أنها شهدت يوما أسود وبدا الحديث يتردد عن كفــاءة الجندى المصرى وانه مزود بأحسن الأسلحة حتى ليبالغ بعض ضباط اليهود فيقولون انهم لم يرووا مثلها ، وبدأ الصراخ يتصاعد بأن روسيا تمد مصر بالأسلحة ، وشرعت أمريكا بكل قحة تعربد فى هذا الاتجاه وتهدد أى أن على الدنيا كلها أن تتعاون وتتكاتف ليبقى العرب أذلاء وعبيد لاسرائيل وهذا ما يجعلنى أعيد وأكرر أن هذا الطغيان سينتهى بأمريكا الى كارثة وان غدا لناظره قريب والى المساء .

الخامســة مســاء :

أذيع الآن فى لندن أن موسى ديان أخبر الصحفيين بعد أن زار الجبهة انهم قد نجحوا فى هجومهم وأنهم يتجهون الآن صوب دمشق

وقد يكون هذا الخبر صحيحا أو غير صحيح وهو فى كلتا الحالتين لا يغير شيئا من الواقع وهو ان أكذوبة اسرائيل قد انتهت فهى لم تعد تخيف العرب والحرب لن تنتهى حتى ولو احتلت دمشق فهى لن تحتلها لو فرضنا الأسوأ واحتلتها بثمن بخس فهى مثخنة بالجراح والمهم ان هذا لو حدث فسوف يزيد العرب غضبا واصرارا على مقاومة اسرائيل والقضاء عليها .

حـرب طـويلة :

كل الذى يمكن أن يقال الآن انها ستكون حربا طويلة مالم تتدخل الدول وترغم اسرائيل على التراجع والا فالحرب مستمرة حتى ولو توقفت وقد اخذت اسرائيل والعالم من ورائها درسا فيما يمكن ان يفعله المصريون وعلى العرب الآن بدورهم أن يثبتوا ماذا هم فاعلون والمسألة كلها فى تصورى انها مناورة لارهاب الملك حسين وقد نجحت فى حمله على التردد ومن الناحية العسكرية البحتة فان اى هجوم مضاد الآن يشن على اسرائيل فى الجولان سيكون حاسما .

العالم كله (ماعدا أمريكا) أصبح ضد اسرائيل :

قطعت دولة افريقية جديدة علاقتها باسرائيل وهى فولتا العليا .

مجلس الأمن :

وسيجتمع الليلة مجلس الأمن ولن يصل الى اى نتيجة مادامت أمريكا تقف فى وجه بقية الأعضاء بطغيانها .

— ٦ —

الجمعة ١٢/١٠/١٩٧٣ م (١٦ رمضان ١٣٩٣ هـ) :

يوم الاســــبوع

اعتدنا أن نحتفل بكل مولود فى يومه السابع ومن الحق علينا أن نحتفل بميلادنا اليوم فقد ولدنا من جديد يوم السادس من اكتوبر واقسم العدو ان يقتل هذا المولود الجديد . روى أن هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا اتصل بوزير خارجيتنا الموجود الآن فى نيويورك يوم الاثنين (أى بعد يومين من نجاحنا بالفعل) وقال له : ما هذا الذى فعلتوه ، ان اسرائيل لا تلبث فى يومين أن تعبىء قوتها وتفرغ منكم فى يومين .

والمهم انه بمجرد عبور قناة السويس هذه المرة والاستيلاء بكل هذه المقدرة القتالية الكبيرة فقد تم النصر على الصورة التى حاولت اسرائيل أن تدعيها لنفسها . ولكن الثقة بقدرة اسرائيل التى لاحد لها كان قد وصل الى درجة العقيدة وقد صورت اسرائيل ما حدث على أن مصر وسوريا أخذتاها على غرة منتهزة فرصة انشـغال اليهود بأكبر أعيادهم ، ولكن اليومان مرا ومر بعدهما يومان آخران وما عرفناه فى مصر بعد أربع ساعات عرفه العالم بعد أربعة أيام وله العذر كل العذر وها هو العالم بعد أن عرف التفاصيل لم يسعه الا الاعتراف وخاصة بعد أن اعترفت اسرائيل نفسها وبدأ الكل يتسابقون فى رسم صورة كئيبة للموقف بحيث أصـبح أبســط ما يقولونه فى اذاعتهم لشعبهم « انتظروا أياما صعبة » وصعبة هذه تعبير مخفف لكلمة « سود » .

وبالأمس تساءل (نصف الاله سابقا) ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل « ماذا تريد مصر » أخيرا تحرك الجبل وتواضع العملاق

ليسأل « ماذا تريد مصر » وذلك تصوير لحالة الفزع التى أصبحت تسود اسرائيل ، انهم يعرفون تماما ماذا تريد مصر ولقد ظلت ست سنوات كاملة تستجدى الجلاء عن أراضيها ، ولكن أبا ايبان يتساءل الآن ، وهو محق كل الحق فهو لا يتصور أن يعد هذا الانتصار المدوخ ما هى نوايا مصر بعد أن أظهرت كل هذه القدرة .

ماذا فى سوريا :

وتتركز الآن الأنظار ويتعلق اهتمامنا بما يجرى فى سوريا ، ذلك أن اسرائيل قد ضربت آخر سهم فى جعبتها فقامت بهذا الهجوم المضاد وأسرع ديان وهو فى حشرجة الموت لان سقوطه من منصبه وربما من الحياة كلها أصبح وشيكا ، أسرع ديان يتحدث عن الطريق الذى أصبح مفتوحا الى دمشق ، ولم يحرك قوله هذا شعرة فى رأسى بفرض صحته ولكن ديان أسرع بهذا القول ليرفع بعض الشىء من معنوية اليهود وليخيف الملك حسين ملك الاردن من ناحية أخرى ، ولكن الساعات مضت دون جديد ثم جاءت بلاغات اسرائيل الرسمية لتعلن انها اخترقت خط وقف النار لمسافة ٦ أميال ، وهم يقولون هذا الكلام لشعبهم المخدوع والا فان أى انسان يعلم أن الدبابات تظل تندفع ما بقيت قادرة على الانطلاق وهى لا تقف الا بعد أن تعجز نهائيا عن التقدم ، ويكون الأمر الحاسم هو ما سيحدث اليوم فاذا انتهى النهار ولم تصل اسرائيل الى دمشق فضلا عن ان يردوا الى الخلف فان ذلك سيكون معناه نهاية ديان .

الطائرات تحولت الى ذباب :

المسألة العجيبة المحيرة هى كما لو كانت طائرات اسرائيل قد تحولت الى ذباب فان سوريا أعلنت بالأمس مثلا انها أسقطت ٩٢ طائرة ولا يستطيع الانسان أن يصدق ، ومع ذلك فيظهر ان هذا هو الواقع فعلا فكل مراسل أجنبى قد أصبح يحدثنا كيف رأى

بعينه طائرتين يهويان محترقتين وآخر يقول أنه رأى ثلاثة ، وذلك فضلا عن العدد الكبير من الطيارين الأسرى سواء فى مصر أو فى سوريا ، وقد أخذت كل الدول العربية التى لم تشترك فى القتال تتحدث عن الطائرات التى أسقطتها وبدأ الاردن ثم جاءت لبنان اليوم لتعلن بدورها انها أسقطت طائرة ، وأخيرا جاءت المقاومة الفلسطينية لتعلن عن اسقاطها لطائرة ودعت الناس لمشاهدتها . ترى هل تحولت الطائرات الفانتوم الى ذباب لقد كان الانسان يعجب للعدد الضخم الذى أسقطته فيتنام من هذه الطائرات ، ولكن هاهى المعجزة تتحقق فى مصر وسوريا ومرة أخرى فقد اجتمعت الروح العالية مع السلاح المناسب ليحقق هذه النتيجة الرائعة .

بين الأمس واليوم :

وعلى ذكر الطيران ففى عام ٦٧ لم نعد نسمع فى سماء القاهرة الا طائرات اسرائيل . كان أى أزيز معناه طائرة يهودية ، أما اليوم فمنذ جلست لأكتب وأزيز الطائرات لا ينقطع وهى كلها طائرات مصرية .

ولأدع الحديث الآن الى ما بعد الظهر ولكنى اريد أن اسجل بدء النهاية واعنى نهاية القتال الدائر ، فلأمر ما عقد أبا ايبان مؤتمرا صحفيا ليقول للصحفيين بدون مناسبة ان اسرائيل قد تكبدت خسائر هائلة ، ثم أعلن ان اسرائيل على استعداد لايقاف اطلاق النار شريطة أن يعود العرب الى خطوط ما قبل ٦ اكتوبر ويجب أن نسمح لأبا ايبان أن ينقذ وجهه بالحديث عن الرجوع والمهم :

١ — انه دعا الصحفيين .

٢ — ليبلغهم باستعداد اسرائيل لوقف القتال .

٣ — ويتحدث بدون مناسبة عن خسائر اسرائيل الفادحة كأنه يقدم مذكرة تفسيرية لماذا هم مستعدون لايقاف القتال ،

يا سبحان الله يا مغير الأحوال ، ان مصر وسوريا هما اللتان لن توقفا اطلاق النار الا بشروطهما ، على أية حال فهذا هو بدء نهاية الحرب ، ولا شك أن هذا التغير هو نتيجة اخفاق السهم الأخير ممثلا فى هذا الهجوم المزعوم للوصـول الى دمشق .

الساعة الخامسة مسـاء :

هذه المرة لا يتحدث ديان وانما المتحدث مندوب للاذاعـة البريطانية يتكلم بالتليفون مع الاذاعة ليخبرها انه دخل الأراضى السورية (كأن الجولان ليست سوريا) والمهم انه قال ان الدبابات الاسرائيلية أصبحت على بعد ٣٥ كيلو من دمشق (اى قطعت ١٥ كيلو) أى ٥ كيلو زيادة عن أمس اذ قالوا انهم قطعوا ١٠ كيلو ، وهكذا لعب بالالفاظ وأساليب صبيانية ان دلت على شىء فعـلى ان اسرائيل لم تعد حتى تحترم نفسها والا فكيف تسمح لمحرر ان يتكلم قبلها ، ولماذا لا تصدر بلاغا على أية حال فتعليقى على هـذا الخبر لو صح انه ليس شيئا والحرب لن تقف بل هى مستمرة ولا عودة الى الماضى أبدا أيا كانت مجريات الحرب كل الذى سيحدث انها تطول وتتعقد .

والمسألة التى بدأت تحيرنى ولا أقول تخيفنى لأن لا شىء أصبح يخيفنى على مصر ان ما حدث قد حدث وانتهى واسترد المصريون ثقتهم بأنفسهم وحصلوا على احترام كل الدنيا وذلك شىء لا يغيره حتى لو احتلت أمريكا مصر لتسلمها هدية لاسرائيل ، ومن هنـا أقول الأمر الذى يحيرنى هو سلبية أمريكا حتى الآن انهم يتحدثون

عن أسلحة ارسلتها وسوف ترسلها بالطائرات الى اسرائيل ولكن هل مشكلة اسرائيل هى نقص السلاح . ان مشكلتها هى انهـــا هزمت وانتهى الأمر وأصبح لا مناص من ايقاف القتال لانقاذها ان استمرار الحرب أسبوعا آخر فضلا عن أسبوعين يهدم اقتصادها كدولة حيث أن كل رجل وامرأة فى خدمة الحرب أى انه لا مصانع لا مزارع لا خدمات الا لما يحتاجه المجهود الحربى وهذا كلام سمعته من خبراء الانجليز فى اذاعتهم للانجليز وليس للعرب وهو ما تقوله كل صحف العالم ، ومن هنا فالذى يحيرنى هو موقف أمريكا السلبى ولا أستطيع له تفسيرا ان كل حديث عن الاسطول السادس قـد توقف ، ويبدو لى أنها تتفاهم مع الاتحاد السوفييتى لايقاف النار .»

ولكن كل ذلك لم يعد يهم فأى شرف أن نجبر على أى شىء حتى نتيجة لاتفاق الدولتين العظيمتين ، المهم اننا حطمنا خرافة اسرائيل وها هى أمريكا بكل جلالة قدرها لا تستطيع أن تعمل ضدنا .

الفصل الثانى

— ١ —

السبت ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ (١٧ رمضان ١٣٩٣) :

وبدأنا اسبوعا ثانيا

اكتب من بيتى من جديد بعد أن عدت اليه ومنذ لحظات سمعنا صوت طائرة ، ولم تكد زمارات الانذار تدوى حتى عادت تصفر صفارة الأمان وهذا يعنى أن طائرة اسرائيلية استطاعت أن تتسلل ثم فرت هاربة ، وهى صورة مختلفة جدا فى اليوم الثامن من القتال عما كنا نتوقعه حيث كنا نتصور أن الحرب لاتكاد تبدأ بيننا وبين اسرائيل حتى تهدم كل مصانعنا والمرافق الحيوية ولاشك أن هذا قد يجىء ولكنه اذا جاء فسيكون قد جاء متأخرا بعد أن زالت خرافته واجترأنا عليه وركبناه ولذلك فسوف يدفع ثمنا غاليا ولن يحدث أى أثر اما لماذا أقول انه سيجىء فذلك لأن سير الحوادث ابتدأ يلقى ضوءا على ما يدور الآن فى رأس اسرائيل وبالتالى أمريكا لقد أصبحت اسرائيل الآن تدرك تماما انها لو توقفت الآن عن القتال فهذا يعنى نهايتها . لقد عاشت حتى الآن بتخويف العرب فاذا زال هذا الخوف فهى لا يمكن أن تبقى ، ولذلك فهم يواصلون الحرب الى أن يصلوا الى حد تخويف العرب لا بقوتهم العسكرية هذه المرة ولكن بقدرتهم على التخريب والتدمير . انهم يدبرون الآن لاحضار طائرات جديدة ولن يقودها هذه المرة اسرائيليون الذين أصبحوا يربطونهم بالسلاسل حتى لايغادروا الطائرة بمظلاتهم ستكون طائرات يقودها مرتزقة . والمهم انهم سيوجهون كل جهودهم للتخريب والتدمير هذا هو ما يجعل اسرائيل تواصل الحرب بعد أن ظهر بوضوح أن قواتهم لم تعد قادرة على تحقيق أى هدف لقد توعدونا منذ يومين أن جيوشهم ستصل الى دمشق وها هى دمشق تعلن أن القتال العنيف ما زال جاريا فى نفس المواقع التى يجرى فيها وطائرات اسرائيل تتهاوى ودباباتها تتحطم ، وقد وصف

كيسنجر الموقف فى الجولان وصفا دقيقا فقال عنه انه مائع أى فى مد وجزر . ومن هنا فقد بدأ اتجاه العدو الجديد يتبلور انه بعد أن تنازل عن صورته كدولة قوية لا تقهر فهو يستبدل ذلك بصورته الجديدة والحقيقية وهى انه قاطع طريق .

الخامسة بعد الظهر :

ما أسعدنى أن تسير حساباتى بدقة الساعة ، ومصدر هذه السعادة لا العجب أو الخيلاء ولكنه الاطمئنان الى المستقبل لهذه المعارك الدائرة وانها ستنتهى طبقا لهذه التقديرات .

الأردن يشترك فى الحرب :

كتبت فى يوم الخميس معلقا على تهديد جولدا مائير للملك حسين ان التهديد بما حدث عام ٦٧ لا يخيف الملك حسين ، وقلت ان الحديث عن اختراق الجبهة السورية والاتجاه نحو دمشق يراد به ارهاب حسين ، وقلت ان ذلك قد يحمل حسينا على التردد يوما أو يومين ، ولكنه آت لا ريب فيه وها هو الاردن يشترك خلال المدة التى حددتها وقد اختار الملك حسين خطة بارعة لهذا الاشتراك اذ توجه جزء من قواته ولا يمكن أن تكون الا قوة مدرعة للاشتراك فى المعركة الدائرة فى سوريا ، وهذا يترك اسرائيل هى التى تجتاز نهر الاردن اذا أرادت وهى مضطرة الآن لمضاعفة قواتها على حدود الاردن والأخطر من ذلك كله هو ان هذا الانضمام سيلهب الآن الضفة المحتلة وسوف تتفاقم فيها الأعمال التخريبية ضد اسرائيل التى ستحاول أن تضاعف ارهابها وبطشها للفلسطينيين ولكنهم سيجدون الآن من يزودهم بالسلاح ولست أستبعد أن تطهر بعض البلاد نفسها من رجس اليهود على أن دخول الملك حسين درس لامريكا والعالم فى أن العرب يتحدون فى لحظة وشكرا لاسرائيل التى تدفعهم لهذا الاتحاد .

قلــق :

على أن عدم صدور أى بيان حتى الآن من القيادة المصرية بدأ يضايقنا فحيث تتحدث اسرائيل عن حدوث اشتباك تصمت القيادة المصرية وأرجو أن تفاجئنا بعد هذا العناء بأنباء سارة .

— ٢ —

الأحـد ١٤ أكتوبر (١٨ رمضان) :

اليوم التــاسع

وهكذا سنظل نعد الأيام عدا حتى ينتهى الاســبوع الثانى ، أما اذا انتهى الاسبوع الثانى واسرائيل لاتزال تحارب فســيكون معنى ذلك انها تتابع تقاليد اليهود فى العناد حتى الموت وهم يوصفون فى التوراه بأنهم شعب صلب الرقبة ، فأما انهم فشلوا وانتهى الأمر فهذا هو ما يخيفهم الآن ويفزعهم ولم يعودوا يعرفوا مخرجا لما هم فيه لقد بدأ العالم كله ينقلب عليهم ولم يبق الا أمريكا ولكن الذى لا شك فيه أن فريقا كبيرا من الشعب الامريكى سوف يتحول عنهم اذا دخلت الحرب أسبوعها الثالث .

جولدا مائير بعد أبا ايبان :

وجاءت جولدا مائير بعد وزير خارجيتها . فعقدت مؤتمرا صحفيا فى تل أبيب وعادت كما توقعت تماما الى المسكنة فاسرائيل بلد صغير يريد أن يعيش فى سلام وبعد أن أكدت ثقتها بالنصر قالت ان اسرائيل اذا تلقت طلبا جديا لوقف القتال فسوف تولى هذا الطلب عنايتها الفائقة ، وطبعا لم تتحدث عن الرجـوع الى خطوط ما قبل السادس من أكتوبر وهكذا يتظاهرون (بالتقل) والمهم انهم يتراجعون ، ففى الأيام الأولى لا تراجع عن القتال الا بعد أن يدقوا عظام العرب ويلقنونهم درسا أخيرا فى الادب ، وبعد مرحلة أخرى يدعو ايبان مؤتمرا صحفيا ليقول ان اسرائيل على استعداد لايقاف القتال اذا رجع العرب الى خطوط ما قبل ٦ اكتوبر وها هى مائير لا تشير الى ما قبل ٦ أكتوبر ، واذا انتهى الاسبوع الثــانى من الحرب بغير نتيجة فسيقولون انهم مستعدون لايقاف القتال

على أساس قرار مجلس الأمن ، ولكنى أتصور أن العرب **سيعودون الى المطالبة بقرار التقسيم** الصادر عام ١٩٤٨ . وقد لا نحتـــاج لانتظار أسبوع آخر . وقد أعلنت اسرائيل منذ ساعات أن المصريين بدأوا هجوما جديدا ولو نجحت مصر فى هذا الهجوم الجديد فان أشياء كثيرة يمكن أن تحدث فلننتظر الى ما بعد الظهر .

الخامســة مســاء :

لا تزال المعركة الجديدة فى سيناء مستمرة حسبما تقول آخر البلاغات العسكرية ومن الواضح أن اسرائيل لم تواجه هذه القوة الزاحفة بما يقابلها فكل دباباتها تعمل الآن فى الجولان حيث المعركة لا تتوقف ليل نهار وحيث لا يمل اليهود من ترديد كلمة دمشق كأن عزاؤهم يتلخص فى هذه الكلمة ومرة أخرى تحدث مندوب عميل انجليزى بأن (القتال يجرى حول ما أسماه بلدة) « سعسع » التى تبعد أربعين كيلو عن دمشق ويظهر أن اسرائيل اســتبدلت كلمة التراجع بالتقدم فقد قالوا لنا بالأمس انهم على بعد ٣٥ كيلو من دمشق فأعجب لهذا التقدم الذى يحول الخمسة وثلاثين الى أربعين .

اسرائيل والاردن :

ويعجب اخوانى ممن يطالعون هذه المذكرات من دقة حساباتى فهل أنا رجل مكشوف عنه الحجاب والمسألة ليس فيهــا كشف حجاب ولا حاجة وانما هى مؤشرات قاطعة الدلالة فعندما تهدد جولدا مائير الملك حسين وتشترك معها الاذاعة البريطانية فى التهديد فيقول مراسل لها وتتولى هى اذاعة هــذا السخف من أن الملك حسين سيفقد عرشه هذه المرة اذا هو اشترك فى النزاع ، أقول عندما يقال ذلك فلا يعبأ به الملك حسين ويعلن عن اشتراكه فى الحرب ويرسل بقواته الى سوريا ليربك اسرائيل ويعلن عن خطته فى هذا التصرف ، ثم تتحدث الانباء عن أن عمان أمضت ليلة هادئة فان ذلك يعنى شيئا واحدا وهو ان اسرائيل غارقة حتى أذنيهــا

فى المعارك الدائرة الآن حتى لاتجد طائرة واحدة تعربد بها فوق عمان فهذا هو الدليل الذى لا يعوزه دليل على أن جراحات اسرائيل تنزف دما غزيرا وهو ما يحمل اسرائيل على التوجع .

الكارثة الاقتصادية فى اسرائيل :

ولم أتحدث حتى الآن عن حدوث الكوارث الاقتصادية لاسرائيل ذلك ان المال لم يكن ولن يكون فى أى وقت مشـــكلة اسرائيـــل فالصهيونية العالمية من ناحية والامريكان من ناحية يمكن أن يمداها بحاجتها .

لقد أعلن وزير مالية اسرائيل أن اسرائيل خسرت فى الأيام الستة الأولى للحرب ألفين مليون دولار وان ساعة حرب واحدة تكلف اسرائيل أربعين مليون دولار ثم غادر اسرائيل الى أمريكا لعمل اللازم .

ومع ذلك فالى كم من الزمن يظل اليهود ينفقون على عملية خاسرة هذا هو السؤال .

مشـــهد مسرحى :

بلغ من هوان اسرائيل اننى كدت أنسى أن أسجل فى حوادث الأمس مشهدا مسرحيا مؤثرا بالألوان يدور حول سقوط حصن ضخم لاسرائيل بالقرب من السويس حيث استسلم ٣٧ ضـــابط وجندى فى حفلة رسمية جرت على مرأى من منـــدوبى الصحف والاذاعات والتليفزيونات العالمية ومندوب للصليب الأحمر ولم أفهم فى بادىء الأمر لماذا ذلك كله الى أن نشرت التفاصيل اليـــوم فدلت على أن حكومة اسرائيل هى التى اتصلت بالصليب الاحمر ليشرف على تسليمهم . أنظر الى هذه القصة وضخامتها والتى كانت لا تطوف برأسنا ولا فى الأحلام ومع ذلك فقد كدت أنسى ان أسجلها لتفاهتها فنحن لم يعد يرضينا الا الانتصارات الحاســـمة ولأول مرة لا يساورنا القلق على مجريات المعركة الدائرة الآن فى ســـيناء .

— ٣ —

الاثنين ١٥ اكتوبر ١٩٧٣ (١٨ رمضان) :

وتوحد العرب

واذا كان ما حدث حتى الآن يعتبر شبه مستحيل عسكريا فاليوم العاشر من القتال يشهد بدوره معجزة سياسية تفاجىء امريكا هذه المرة وتكشف عن افلاسها فى ميدان السياسة فبالرغم من كل شىء فقد كانت أمريكا وحتى بعد نشوب القتال تتصور انها بدولاراتها من ناحية وبارهابها من الناحية الأخرى ستبقى العرب منقسمين ، فاذا بها تفاجأ اليوم بكل حساباتها وقد طلعت (فاشوش) .

فعلى جبهتى القتال الآن قوات رمزية من الشمال الافريقى كله ابتداء من المغرب العربى ومن المشرق العربى ، واذا كانت هذه القوات الآن رمزية فهى لن تكون كذلك اذا استمرت الحرب أسبوعا ثالثا بل ان الجبهة الاردنية قد تفتح للحرب المباشرة خلال يومين او ثلاثة على الأكثر ولا بد أن الاستعدادات تجرى لذلك الآن بكل قوة ، ولم تتردد أمريكا باعترافها بالخذلان فى موضوع الاردن ، وكيف انهم كانوا على علم حتى الأمس القريب وكانوا على ثقة انه لن يقدم على هذه الخطوة وبينما كانوا يترنحون من هذه اللطمة فاجأهم الملك فيصل باللطمة الثانية فأعلن أن جيوشه سوف تشترك .

وعلى أمريكا اليوم أن تختار هل تريد هى أن تكون طرفا مباشرا فى هذه الحرب ، لو فعلت ذلك فستكون هى الخاسرة فسيقف العالم كله خلف العرب ولن تكسب أمريكا شيئا .

فى ميادين القتال :

وفى ميادين القتال واصل الجيش المصرى تقدمه فى سيناء ودمرنا لاسرائيل ١٥٠ دبابة و ٤٤ طائرة وكلنا الآن ثقة ببياناتنا

العسكرية وذلك هو شأن المنتصر دائما وفى الجبهة السورية انتهت هجمات الاسرائيليين وتحطمت وبدأ العالم يسخر من بلاغاتهم وحديثهم عن « الطريق الى دمشق » فقالت الاذاعة الفرنسية : يمكن أن يوصف أى انسان بمجرد خروجه من تل أبيب انه فى الطريق الى دمشق وبلغت المهانة باليهود الى حد أن عرضوا أفلاما لأسرى سوريين ثم اتضح انها من عام ٦٧ ووسط هذه الأكاذيب تنهال عليهم الحقائق كالمطارق وكان آخر هذه الحقائق اعلانهم عن وفاة قائد عام سلاح الدبابات وهو برتبة جنرال ، كما أعلنوا انه قد مات منذ نشوب القتال ٦٥٦ وهو رقم زائف بطبيعة الحال والمهم أنهم اضطروا لاذاعته بعد أن تبين لهم على ما يقولون أن الحرب ستطول .

اسرائيل بدأت الصراخ لايقاف القتال :

ولم تعد اسرائيل تحتمل (الدلع) فى اظهار رغبتها لايقاف القتال فأوعزت لسفيرها فى لندن أن يطالب بايقاف القتال فاحتشد ما يقرب من عشرة آلاف فى ميدان الطرف الأغر حيث طلب السفير من المحتشدين أن يضغطوا على الحكومة الانجليزية لتطالب بايقاف اطلاق النار ، وفى أمريكا بدأت تتحدث عن ايقاف اطلاق النار على بقاء الجيوش حيث هى ، وقد بلغ من هوان أمريكا أن جريدة الأهرام لم تنشر الخبر ، ونشرته الأخبار فى بعض سطور منزوية ولولا انى وجدت الخبر منشورا فى الجمهورية لما صدقته ، ألم أقل فى هذه المذكرات أن كل آمال اسرائيل وأمريكا الآن ستتحول الى حدود ٦٧ وسيطالب العرب بالتقسيم الذى أعلنته الامم المتحدة عام ١٩٤٨ وسأتحدث غدا عن مدى ما تستطيعه الصهيونية العالمية .

الخامسة بعد الظهر :

وأخيرا انقطع نفس اسرائيل وقررت فيما يبدو أن تتوقف عن مواصلة حماقاتها والاستعداد للضربة الثانية ولذلك فها هو النهار

ينقضى دون أن نسمع شيئا عن الطريق الى دمشق . واكتفت بارسال طائرة استطلاع فوق سوريا يقول السوريون أنهم أسقطوها .. وفى جبهة سيناء يتصرف المصريون حسب هواهم فيتحركون وقتما يستكملون استعدادهم ويقفون حيث يريدون ، وقد نجح هجوم الأمس فاستطاع أن يستجلب قوة اسرائيل على الجبهة المصرية ليخفف بذلك عن الجبهة السورية وهو ما قد تحقق بالفعل .

ابراهيم شكرى :

وليس الا ابراهيم شكرى ما سوف يخرج من هذه الأحداث أشد لمعانا . فالشدائد هى التى تظهر الرجال . فمن بين قيادات الاتحاد الاشتراكى يشارك هو بالذهاب الى حيث يضرب العدو .

وقد حدثنى عن جولة فى دمياط وبور سعيد ووصف لى كيف ضرب العدو بور سعيد بكل عنف ولكن روح الشعب قد زادت قوة وحدثنى كيف أمكن اصلاح الطرقات فى ليلة . ورأى كميات هائلة من الأطعمة المحفوظة كانت تكفى جنود الموقع الذين استسلموا مدة ستة أشهر ورأى التليفون والدولاب اللذين يستعملا وانهما ليسا الا بعض الغنائم وكان ما راعه حقا هو هدوء الشعب واقباله على أعماله كأن شيئا لا يحدث ، وعلى طول الطريق الساحلى من دمياط الى بور سعيد وجد الجميع ساهرين يقظين عاملين ، وتركنى ليذهب الى جولة أخرى فى خليج السويس وشاطىء البحر الأحمر .

— ٤ —

الأربعاء ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ م – ٢١ رمضان ١٣٩٣ هـ :

يوم الســادات

منذ بدأت المعركة فى ٦ أكتوبر توقفت لأول مرة عن الكتابة أمس بعد أن كنت أتابع الكتابة بالســاعات ولعل ذلك فى حد ذاته يظهر مدى التبدل فى الموقف ، وقــد التهب القلق بعض الشىء بالأمس قليلا بعد المظــاهرة الكبرى التى قامت به أمريكا بالأمس عنــدما تعمدت أن تعلن فى تحد أنها زودت وتزود اسرائيل بكميات ضخمة من الأسلحة ما بين طائرات ودبابات وأجهزة اليكترونية حديثــة وتعمــدت أن تعلن عن ذلك وسط الضجيج والعجيج ، وكان من الطبيعى ان يحدث ذلك بعض القلق من المجهول ولكن اليوم انقضى دون جديد ، واذا انقضى يومان آخران بغير مفاجآت أى فى مستهل الأسبوع الثالث على وجه التحقيق ، فان هذا سيعنى أن أمريكا هى التى فشلت هذه المرة ، وقد اعتاد الصينيون أن يسموها نمرا من ورق ، ويبدو أننا سنصفها كذلك بدورنا فهى لم تعد تخيف أحدا . والمهم الآن بعد انقضاء أحد عشر يوما على القتال لم يعد أحد يشك فى هزيمة اسرائيل الساحقة وقد سمعتهم فى لندن أول من انشأ اسرائيل ، يتحــدثون (بالانجليزية) عن أن الســادات حصل على نصر من الطراز الأول . وعندى أن ما يحول بين اسرائيل وبين أن تسلم كما تفعل الدول التى تخسر حربا عاملان :

١ – انها ليست دولة طبيعية وانما هى كيــان مصطنع فالتسليم يعنى نهايتها .

٢ – انها تقف وخلفها الصهيونية العالمية بكل اقتدارها ومن خلف الصهيونية أمريكا حيث قد توحدت مصالح الطرفين ، وهذا

ما سوف يجعلهما لا يسلمان بالهزيمة لأن ذلك، سيكون معناه ضياع هيبة الصهيونية وامريكا معـا وهو ما لن يسـلما به بسهولة أو بسرعة ومن ناحيتنا فليس ذلك من أهدافنا .

يوم أنور السادات :

واعود للحديث عن انور السـادات لقد كان الأمس هو يومه احتفلت به مصر والعالم العربى واستمعت له الدنيـا كلها بقلب خفاق ، أما اسرائيل فقد استمعت لأول مرة ماذا يقول الرجل الذى أصبح يملك مصـير اسرائيل . واجلت جولدا مائير خطابهـا فى الكنيسيت بعضا من الوقت لتتمكن من سماع خطاب أنور السادات. واخترق أنور السادات شوارع القاهرة فى عربة مكشوفة فى طريقه الى مجلس الشعب ، واندفع الشعب يحييه حيث سار الأطفـال قبل الشباب والنسـاء قبل الرجال والشيوخ قبل الفتيـان من النوافذ والشرفات واسطح المنازل لله در هـذا الشعب انه يقوم بواجبهبدون موجه ، بدون منظم الا من احساسه المرهف ، ولو طاف أنور السادات فى كل الأمة العربية لقوبل بمثل هذه المقابلة ، وكم كان الرجل عظيما وهو يخطب ، كم كان قويا وكم كان متواضـعا وهو يأبى الا أن يعتذر لممثلى الشعب عن تأخره فى الحديث اليهم ، وهذا شأن العظيم كلما زاده الله رفعة زاد للناس تواضعا .

ولقد كان بخطابه يعمل عمل جيش بأكمله ، كان يضرب أمريكا واسرائيل ضربات سياسية موجعـة وهو يضعهما فى ركن بحيث يبدو منظرهما كريها بشعا اذا هما لم يلبيا طلبه ، وحيث انهما لا يستطيعان الا أن يلبيا طلبه فلم يبق لهما الا الوجه البشع ، ولم تتردد اسرائيل من غضبها وحنقها الا أن ترسل الى مصر بضـع اسرائيليين ليموتوا أو يؤسروا فى مصر لكى يكون عندها من الصفاقة أن تقول فى الكنيست أن بعض جنودها قد عبروا القناة كما شنت الدبابات هجوما فى المحور الأوسط فتحطم ما تحطم وانسحب الباقى مؤكدين بصفة نهائية اندحارهم الكامل بحيث أصبحوا لا يثبتون فى

معركة واحدة ، ولنرجع الى ماقاله أنور السادات والذى أخرج رئيسة وزراء اسرائيل عن صوابها انه لم يقل شيئا جديدا لم يكن هو نفس كلامه الذى ظل يردده منذ ثلاث سنوات وهو أنه على استعداد لو قف اطلاق النار شريطة أن تنسحب اسرائيل الى خطوط ما قبل ٥ يونيو وهو عين ما يقضى به قرار مجلس الامن والجمعية العمومية لهيئة الأمم وأعلن ارتباط مصر بالقوانين الدولية وليس فى هذا كله شيئا جديدا ولكن الجديد انه يقال الآن ولمصر جيش فى سيناء بعد أن ضرب الجيش الاسرائيلى ضربات مدوخة لم يفق منها حتى الآن ، وكذلك بالنسبة للجيش السورى فى الجولان ، وقد اعتادت اسرائيل أن تسمع أحاديث الانسحاب ومجلس الامن فتهز كتفيها ساخرة من كل ذلك وربما كانت تتلذذ بقهرنا ، أما الآن فلم يعد بقدرتها ان تفعل وأصبح هذا الذى يطالب به أنور السادات فى تصورهم هو ضرب من الصلف والعتو ، ولكن اسرائيل لا تجد انسانا واحدا فى الدنيا يشاطرها هذا الرأى حتى ولا فى أمريكا نفسها ، ذلك أن ما لا يستطيع أن يتصوره الاسرائيليون الآن أن ينسحبوا من سينا ومن شرم الشيخ ومن هضبة الجولان ومن الضفة الغربية للاردن ومن القدس أى والله من القدس فهذا هو ما ينص عليه قرار مجلس الامن بل انه يوجد قرار خاص بالقدس ويجن الاسرائيليون ولكن فليجنوا ما شاءوا فليس أمامهم الا الحرب فليحاربوا ، ولكن ما أصبح يرعب اسرائيل ، أنه حتى لو انتصرت اسرائيل فى معركة أو معركتين أو حتى ثلاثة فان الحرب لن تقف . هذا هو المأزق الذى وضع فيه السادات اسرائيل وسيدتها أمريكا ، أشهد أن السادات أحد رجال الله وهو يسدد خطاه .

— ٥ —

الخميس ١٨/١٠/١٩٧٣ م – ٢٢ رمضان ١٣٩٣ هـ :

وتكلم الملك حسين

قد لا يعلم أحد من العرب ما يعلمه الاسرائيليون أن مفتاح الموقف كله الآن قد أصبح فى يد الملك حسين والذى أصبح هو الوحيد الذى يحطم آخر ما تتمسك به اسرائيل من حجج وهو أن تتخذ من الكارثة التى أصابتها حجة تبرر بها احتلالها الأراضى العربية أمام أسيادها الأمريكان فهى تقول انظروا لو لم تكن سيناء والجولان بأيدينا لكان القتال الآن يجرى فى صميم اسرائيل ، وهو كلام فارغ بطبيعة الحال وجنود اسرائيل هى التى تموت الآن وطائراتها هى التى تسقط فالحرب هى الحرب فى أى مكان ، ومع ذلك فهم يرددون هذا السخف ويجدون من أمريكا ودول أوربا الغربية من يجاريهم فى أقوالهم ، وهنا يأتى دور الملك حسين فهو الذى يستطيع الآن باشارة أن يجعل الحرب فى صميم اسرائيل ، حقا انها فى أدوارها الأولى ستدور على أرض عربية كذلك ولكن من هذه الأرض ستنطلق فرق الكوماندوز التى تضرب منذ اللحظة الأولى فى صميم اسرائيل ، ولقد تكلم الملك حسين بالأمس ، وما كان ليستطيع الا يتكلم ، تكلم ليعطى اسرائيل فرصة أخيرة ، فهو يطالب باستعادة الضفة الغربية وبمدينة القدس بالذات ، وبطبيعة الحال سيزداد جنون اسرائيل ولكن كما أقول دائما فلتجن أو تنفلق فان هذا لن يقدم أو يؤخر وعليها أن تتلقى الضربة المقبلة فالقتال فى جبهة الأردن آت لا ريب فيه خلال أيام وعندى أن الملك حسين لم يخرج من صمته ويتكلم الا بعد أن استكمل استعداده فنحن لم نسمع حتى الآن عن القوات السعودية ولابد أنها تقف الآن على

اهبة الاستعداد فى هـذه الجبهة ، وأى اغراء للملك حسين والملك فيصل ، جنبا الى جنب أن يدخلا مدينة القدس ويصليا فى بيت المقدس لقد كان ذلك يبدو وهما وخيالا منذ أسبوعين فقط اما الآن فما عليهما الا أن يتحركا ، وسـوف يتحركان فعلا فى الأسـبوع الثالث من الحرب الذى سيبدأ بعد يومين .

نظرة الى احتمالات الحرب والسلام

فى الوقت الذى يقترب الأسبوع الثانى من نهايته لا زلت أرى عوامل ترجح استمرار القتال بضراوة لمدة أسبوع ثالث ، فى نفس الوقت الذى بدأت تلوح فى الأفق دلائل امكان توقف القتال ، على أن الأسبوع القادم سيشهد على كل حال قتالا عنيفا على الأقل فى أيامه الأولى ، والآن فلأذكر دواعى احتدام القتال من ناحية ودواعى توقفه من ناحية أخرى .

لماذا يشتد القتال :

١ – لأن اسرائيل بدأت تواجه الحقيقة القاسية وهى أنها أصبحت مهددة بالفناء الكلى فحتى لو أرادت وقف القتال فيجب أولا أن تقاتل بكل ضراوة لتذكر العرب عندما يحين وقت التفاوض على السلام أنهم ليسوا لقمة سهلة ، وغنى عن البيان أن اليهود قوم جبناء ولكنهم يصبحوا شرسين عندما يجدون فى أيديهم أسلحة فتاكة وهو ما زودتهم به أمريكا وستظل تزودهم ، وهو ما تشهد مظاهره اليوم فمنذ فجر الأمس على ما تقول بياناتنا العسكرية تدور رحى معركة بالدبابات ، وحتى هذه الساعة لم يرد أى خبر عن انتهائها ، ولا شك عندى أنها ستنتهى بانسحاب الاسرائيليين فلن يعودوا للمجازفة بأنفسهم ولكنه قتال على كل حال يدفعهم اليه اليأس .

٢ – العرب من ناحيتهم وقد لاحت تباشير النصر لا يمكن الا أن يضاعفوا جهودهم فى القتال .

٣ – سوف يعز على أمريكا وكل من يناصرون اسرائيل أن يخرج العرب بهذا النصر الساحق خوفا من نتائج ذلك على مصالحهم

ولذلك فسوف يعملون على اطالة القتال حتى ينكشف العرب بعض الشيء .

احتمالات ايقاف القتال :

١ ـ تحدث وزير خارجية اسرائيل بالأمس فى نيويورك واشار الى ايقاف اطلاق النـار بغير شروط مسـبقة ، اى ترك حكاية الرجوع الى خطوط ٦ اكتوبر .

٢ ـ قابل نيكسون اربعـة وزراء لخـارجية العرب (من بينهم الجزائر والسعودية) ومجرد هذه المقابلة مظهر رغبة أمريكا فى ارضاء العرب .

٣ ـ أعلنت أمريكا انها فى اتصال مع الاتحاد السوفييتى لايجـاد صيغة تقدم لمجلس الامن لايقاف اطلاق النار .

٤ ـ مهما كان كبرياء اسرائيل وعنادها واستطاعتها مواصلة القتال لفترة أخرى ولو بثمن باهظ جدا فانها تعرف أن الزمن ليس لصالحها ولذلك فلابد انها تواقة لايقاف اطلاق النار .

الساعة خامسة مساء :

لا تزال المعارك مستمرة فى سيناء وهذا وحده هو الدليل على انها لا تسير لمصلحة اسرائيل لأنها لا تعرف الحرب الا فى ظل التفوق الساحق ، ومتى توفر لديها التفوق الساحق فهى لا تحتاج لكل هذا الوقت لتكسب معركة ، واذن فلابد أنها فى حالة يرثى لهـا وسنسمع انباء طيبة .

أبو ظبى :

وتجىء المفاجأة من امارة ابو ظبى ، هذه الامارة الصغيرة على الخليج تعلن انها قطعت شحن البترول الى الولايات المتحدة لموقفها مع اسرائيل ـ بطبيعة الحال لن يخيف ذلك أمريكا ولن يؤثر عليها فى قليل أو كثير ، ولكن اى لطمة لأمريكا وفضيحة لها انها لم تعد تخيف احدا حتى ولا « أبو ظبى » .

الجمعة ١٩/١٠/١٩٧٣ م – ٢٣ رمضان ١٣٩٣ هـ :

الموقف على ما هو عليه بالأمس

واليوم يسدل الستار على الأسبوع الثانى من ابتداء الحرب والموقف هو على ما كان عليه بالأمس فحيث اشتدت دواعى القتال ، فكذلك قويت احتمالات ايقاف اطلاق النار على أن الشيء المحقق أن اسبوعا ثالثا من القتال العنيف سيستمر مهما كانت لهفة أمريكا .

أنبـاء القتال :

وما يجرى فى ميدان القتال هو معارك بالغة العنف تدور وستظل تدور لأن اسرائيل تحارب الآن حرب يأس حرب حياة أو موت لطالما قالت، ان العرب يستطيعون أن يخسروا أكثر من معركة أما هى فلا تستطيع أن تخسر معركة واحدة ، وهاهى قد خسرت ولذلك فهى تقاتل الآن عن بقائها ومن الواضح انها بدأت تفيق من الصدمة وتواجه الحقائق الجديدة وأول هذه الحقائق أنها قادرة بمساعدة من ورائها على أن تعيش . ان كل أصدقاء اسرائيل أو بالأحرى حلفائها بدأوا يتحدثون أنهم لن يسمحوا تحت أى ظرف من الظروف أن يقضى على اسرائيل .

لقد واجه بالأمس وزير خارجية انجلترا النواب فأكد لهم أن لا خطر محدق باسرائيل ويوم أن تصبح مهددة فى كيانها فان موقف انجلترا سيتغير وراح يؤكد حق اسرائيل فى أن تعيش خلف حدود آمنة وقد كان وزير الخارجية يرد على انتقاد حزب المعارضة

للحظر الذى فرضته انجلترا على توريد السلاح للدول التى تحارب الآن فى لشرق الأوسط . وبهذه المناسبة أريد أن أصحح كلاما قلته بمناسبة هذا الحظر حيث قلت ان المقصود به فى الدرجة الأولى هو الاردن حيث ارتفع التذمر من القرار من اسرائيل فقد كانت ترغب فى مزيد من الدبابات ، أما عن قطع الغيار والذخيرة اللازمة لهذه الدبابات فان اسرائيل تقوم بصنعها بنفسها بالفعل ، واذن فما زلت عند رأيى من أن هذا الاجراء موجه فى الدرجة الأولى للعرب .

والذى يعنينا الآن ان اسرائيل كما كانت قبل ٦ أكتوبر قد انتهت الى غير رجعة وانتهى معها الدور الأول من أدوار القتال والذى تفوقنا فيه تفوقا ساحقا وبدأ دور جديد مع القوى الضخمة وراء اسرائيل ولذلك فسوف تتغير الصورة بعض الشىء بل هى تغيرت بالفعل وعزاؤنا الوحيد أن اسرائيل هذه المرة هى التى سترفض أن تكون مخلب القط ، ولذلك فهى تفرغ الآن ما عندها فى سيناء ويوم أن لا يؤدى بها هذا الى شىء كما حدث فى الجولان ، فسوف تستسلم اسرائيل وسيتولى الآخرون الكلام عنها ، واذن فلننتظر بقية اليوم والغد حيث ينكشف الموقف العسكرى نهائيا »

احتمالات ايقاف اطلاق النار :

ومن الناحية الثانية فقد ظهر الآن أن رئيس وزراء روسيا كان فى مصر منذ يوم الثلاثاء ، وقد عاد الآن الى موسكو وكل الدلائل تشير الى أنه جاء للتحدث عن ايقاف اطلاق النار »

تفسير لما يجرى :

ولعل قرب تدخل أمريكا وروسيا لايقاف القتال هو ما يفسر حركة اسرائيل الجنونية اليائسة وهى أن تجعل لها وجود بأى

شكل من الأشكال فى نقطة على الضفة الغربية لتكون ورقة فى المساومة ومن المحقق الآن انها ما كانت لتفعل ذلك الا لعلمها بقرب ايقاف النار .

ولندع الحديث عن ذلك كله الآن فى انتظار ما يجيء به الغد الشيء المحقق الذى لم تدركه اسرائيل حتى الآن او لعلها تدركه ولكنها « تقاوح » اذ لم يعد لها خيار فهى اما أن تقاوح واما أن تموت ولما كانت لن تختار ان تموت فلم يبق أمامها الا أن «تقاوح» وهذه الحقيقة هى أن العرب لن يوقفوا الحرب هذه المرة ولو سقطت القاهرة ، فهل اسرائيل على استعداد أن تحارب الى ما لا نهاية . هذا هو السؤال .

واعترفت أمريكا :

الحقيقة لا يمكن أن تفرض نفسها ومنذ اليوم الأول للقتال ونحن نتحدث عن المعجزة الالهية التى حدثت ، وغنى عن البيان أن الله يحدث معجزاته على يد البشر ومن خلالهم ، أما فى أمريكا وأوروبا حيث لم يعودوا يؤمنون بالله فقد بدأوا يقفون حيارى أمام ما حدث وقد بدأنا نحن الآن فقط ندرك أبعاد انتصار المصريين من الناحية العسكرية البحتة وآخر المتحدثين هو وزير الجيش الأمريكى الذى أعلن أن ما حدث قد قلب كل الحسابات والنظريات العسكرية وعلى كل الدول أن تعيد دراسة حساباتها فها هو جيش قد استطاع أن يعبر عائق مائى ويخترق أعتى الحصون ضد تفوق جوى ساحق دون أن يخسر من ناحيته طائرة واحدة والذى يهمنا من كلامه انه تضمن لأول مرة اعترافا كاملا من امريكا أن اسرائيل لم تؤخذ على غرة كما تدعى وان سلاحها الجوى بكل تفوقه كان فى سماء المعركة وانه فشل فى اعاقتها وهذا هو سبب ما يقوله عن وجوب تغيير الحسابات والنظريات ، أما أنا أقول لكل ملحدى العالم انهم لن يجدوا تفسيرا لما حدث الا أن يؤمنوا بالله فهو

الذى ملأ قلوب أبنائنا شجاعة وفدائية وهو الذى ملأ قلوب اليهود رعبا وفزعا . وقد ثبت الآن أن حكاية تغطية وجه مياه القناة بالنار لم يكن اشاعة بل هو صحيح فقد كان لدى اليهود أجهزة كاملة لتغطية مياه القنال بالنابالم وما كان عليهم الا أن يديروا لولبا لكى يتحقق ذلك ، ولكن لم يكن هناك واحد ليعمل ذلك ولذلك فنحن عند ايماننا بان الله هو الذى ضرب .

الساعة السادسة مساء :

مجرد الحقيقة أن لا جديد هو آية افلاس اسرائيل ، وقد سمعنا صفارات الانذار ولو لمدة بضع دقائق وان كنا لا نسمع شيئا ولكنها كانت تذكرنا على كل حال اننا فى حرب اما اليوم فلم يحدث حتى هذا .

فى الجبهة السورية :

ودب النشاط من جديد فى الجبهة السورية .

ولكن تقديرى ان هذه هى الساعة التى يجب ان يفتح الملك حسين جبهة الاردن مهما كانت الظروف .

الفصل الثالث

— ١ —

السبت ١٩٧٣/١٠/٢٠ م — ٢٤ رمضان ١٣٩٣ هـ

وبدأ الاسبوع الثالث

ومع بداية الاسبوع الثالث فقد بدأنا نحارب أمريكا نفسها وجها لوجه ، انها حرب غير معلنة رسميا ولكنها تدور بالفعل وتحرص أمريكا بالذات على اعلان ذلك ليحدث أثره النفسى المطلوب . فقد تقدم نيكسون الى مجلس الشيوخ الأمريكى يطلب الفين مليون دولار كدفعة أولى لتزويد اسرائيل بالسلاح ونصف هذا المبلغ قد أرسلت به أسلحة بالفعل الى اسرائيل ، فاذا علمنا أن أمريكا ليست الا مال ومعدات فان معنى ذلك ان أمريكا تحاربنا حتى الرجال الطيارين فقد أرسلتهم امريكا وقد اعلن طيار اسرائيلى بعد أسره أن أمريكا أرسلت قبل أسره ٣٥ طائرة فانتوم بطياريها من الأمريكان ،وقد اعلنت وزارة الطيران الأمريكية رسميا أنها استدعت الاحتياطى والاعلان عن ذلك كله يقصد به ارهابنا .

لم يتعلموا — حتى الآن — أن هذه الأساليب لم تعد تجدى ، بعد أن فضحتهم فيتنام . والمهم الآن هو دقة حساباتى ، الا وهى أن اسرائيل انتهت وهى لا تستمر الآن الا بقوة أمريكا وأسلحتها وأموالها ، وهى حقيقة كنا نعرفها منذ زمن ، ولكن العالم أصبح كله يعرف ذلك الآن وتعرفه اسرائيل نفسها التى كانت تصورت نفسها شريكة للولايات المتحدة ، واليوم عادت الى حجمها الطبيعى « ذيلا » .

ماذا كان يحدث لو لم نضرب :

واليوم واليوم فقط تكشف ما كانت اسرائيل تبيته لنا لو لم نضرب فمنذ أيام أعلنت اسرائيل ان قوات لها قد عبرت الى

الضفة الغربية ولم تكن الا شراذم حطمتها القوات المصرية ، ولكنهم عادوا بقوة أكبر فأكبر وتمركزوا فى نقطة على ضفة القناة الغربية وأعلنوا أنها ستبقى هناك الى حين انتهاء الحرب ، وبدأنا نفهم بأثر رجعى ما الذى كان يعنيه مجلس وزراء اسرائيل عندما أصدر قراره منذ الأيام الأولى بوجوب عبور القناة فالحقائق تتكشف الآن أن اسرائيل كانت تعد وتخطط لعبور القناة من حيث لا نتوقع : أى فى منطقة البحيرات المرة ، وأعدت اسرائيل للأمر عدته وخططت بطريقتها الجهنمية ، ثم كان هذا الذى كان وزلزلت الأرض زلزالها تحت أقدام اسرائيل فشغلت بالدفاع عن نفسها وانقضى عشرة أيام قبل أن تعود اسرائيل الى خطتها ، ولكن شتان بين ما كان يقدر لها أن تفعله وما فعلته الآن ، ان ما فعلته الآن لا يزيد عن لعبة يتسلى بها (الأولاد) وتصلح أن تكون عنوانا بالخط العريض فى الصحف التى تسيطر عليها الصهيونية فى كل مكان « اسرائيل تعبر القناة » « اسرائيل على بعد ٥٠ ميل من القاهرة » .

وهكذا جاء دور القاهرة بعد دمشق فقد كانوا فى الطريق الى دمشق منذ اسبوع وهم فى طريقهم اليوم الى القاهـــرة وهكذا أصبحت اسرائيل وكل أصحابها يقاتلون بالأوهام وأحلام اليقظة .

عظمة البيـانات المصرية :

بقى أنه لا اسرائيل ولا من يؤيدونها كانوا يجرأون بعـــد أن افتضحت أكاذيب اسرائيل أن يتحدثوا عن هذا الموضوع بكل هذا الضجيج لولا أن البلاغ المصرى الأخير قد أشـــار اليه ، وهنــا لا يسعنى الا أن أنحنى اعجابا وتقديرا بشجاعة القيادة العسكرية المصرية فى اعترافها بهذه الحقيقة التى لو كذبتها لكذبها العالم كله معها ، ولكن قيادتنا آثرت أن تحتفظ لبلاغاتها بالدقة لتدعيم الثقة التى احرزتها .

وهكذا ننتصر على اسرائيل فى كل الميادين فى السـياسة وفى الحرب وفى الاعلام وتعرف الدنيا كلها اليوم من هم الأكثر حضارة ومدنية .

مآل قوات اسرائيل :

والسؤال الآن ما هو مآل هذه القوة الاسرائيلية الجديدة ؟ وبدءا ذى بدء اقول أن لا شيء أصبح يخيفنا ولن تغير الآن اى انتصارات يمكن أن تحصل عليها اسرائيل فى الواقع الجديد الذى حصل فهى تحارب الآن دفاعا عن (جلدها) لا عن عظمتها وسوف تتقيأ هذا الذى ازدردته عام ١٩٦٧ .

والمسألة التى أصبح الجميع يتحدثون عنها بما فيهم اسرائيل نفسها هل يتقايأون كل الذى ازدردوه أم بعضه فقط ؟ . أعتقد أنه لو خسرت اسرائيل المعركة التى تدور بكل عنف منذ أربعة أيام ، فسيتقايأون كل شيء ولكن أيا كانت نتيجة المعركة فسوف تتقايأ اسرائيل .

هجوم فى سوريا :

ويجرى الآن هجوم جديد فى هضبة الجولان .

توقف الطيران الاسرائيلى :

والظاهرة الجديدة الآن هو تناقص ظهور الطيران الاسرائيلى سواء فى سوريا أو فى مصر ، فحيث لم تشهد غارة واحدة على القاهرة ولم تدو زمارات الانذار ولو على سبيل الغلط فى القاهرة لمدة يومين فهم يحدثوننا أنها لم تسمع كذلك منذ ثلاثة أيام فى دمشق ، لقد انتهت « الزفة » التى كانت تعيش فيها اسرائيل بسلاحها الجوى وعرفت ان الله حق واسقاط طائراتها وقتل طائريها أو أسرهم حق ، فأصبحوا يستخدمونها بحذر .

الخامسة مساء :

كل الأنباء اجمل من الجمال ، ان قلب الانسان لا يحتمل كل هذه الأخبار المفرحة .

صدر البيان رقم ٥٠ من قيادتنا العسكرية ومجرد صدور البيان أصبح يطمئننا ان كل شيء يسير سيرا حسنا ، فما بالك

والبـلاغ يحـدثنا عن عشرات الدبابات والمصفحات التى دمرت والطائرات التى اسقطت ويشفع ذلك بالحديث عن جنود العـدو والطيارين الذين اسروا ، وانا أفرح جدا بالاسرى أكثر من القتلى لأن الأسير لا يقع فى الأسر الا نتيجة أحد عاملين كلاهما حلو ، أما أن يكون الأسير جبانا فسلم نفسه ، واما انه يكون قد أحيط به وأصبح لا مفر من التسليم ، فعندما يحـدثنا البيـان الأخير عن وجود أسرى فهو الدليل على أن المعركة تسير لصالحنا .

وليس ادل على ذلك من ان المتأله موسى ديان أصبح يتحدث بالفم المليان انه لو طلب ايقاف النار بشروط معقولة فاسرائيل مستعدة ولكنه يردف ذلك بقوله : ولكن يبدو ان العرب يريدون الحرب . وهذا كلام يستحيل أن يقوله موسى ديان لو كانت المعركة تدور بما يبشر من وجهة نظره .

ضرب مصفاة البترول فى حيفا :

على ان ما هو أبهج من كل ذلك هو ما قال به ناطق سورى من أن الطيران السورى قد قصف مصفاة النفط فى حيفا ردا على غارة الاسرائيليين على مصفاة النفط فى حمص . وبعد عدة ساعات كذبت اسرائيل ، ولكن كما يقال نفى النفى اثبات فذلك تكذيب الكذاب (كذب) اى أن النبأ لا يمكن الا أن يكون صحيحا ، خاصة وان متحدثا عسكريا يهوديا لم يلبث أن قال : ربما يشـير الى طائرة أسقطناها فى بلدة شمال حيفا ، وهكذا اعترف انه كانت هنـاك غارة .

أما لماذا افرح انا بهذا النبأ ويتجاهله الاسرائيليون بكل هـذا العنف فذلك ان كل ما حدث فى الحرب حتى الآن « كوم » واغارة على حيفا « كوم ثانى » انها تلطم اليهود لطمة جديدة أعنف مما سـبق ، انها أشبه بتحطيم خط بارليف ، فالاسرائيليون فى وهم كبير وهو استحالة أن تظهر طائرة معادية فى سمائهم وأول الغيث قطـرة .

— ٢ —

الاحد ١٩٧٣/١٠/٢١ م – ٢٥ رمضان ١٣٩٣ هـ :

الموقف العسكرى قوى

من المحقق الآن أن اسرائيل أصبحت مسلطة على نفسها فلم تعد تفكر بعقل متزن لأناس فى حرب ولكن بعقـــول طائشة فكل خطواتها الآن لاتهدف الى ما يجب أن يكون ، ولكن لمـا يهيء لهـا أن تجعجع وتدعى ولو لبضع ساعات .

وهذه المعركة فى سيناء :

وهذه المعركة المستمرة التى تجرى فى سيناء وتدخل اليـوم فى يومها الخامس ، هى بدورها آية على أن اسرائيل فى عجـلة ولهفة من أمرها كى تحصل على أى نصر متصورة أنها لا تزال فى عام ١٩٦٧ انها لا تتصور أن المصريين لن يتراجعوا أبدا حتى او أبيدوا ولكنهم هم الذين يبادون ، ومجرد استمرار المعركة حتى الآن هو فى حد ذاته أمر يذهل اليهود ويهدم كل حساباتهم وتوقعاتهم فراحوا يتحدثون عن المصريين كأنهم غيلان وراحوا يرسلون النجدات تلو النجدات لأن معنى انسحابهم بعد كل ما حـــدث هو نهـاية اسرائيل فى عين الدنيا كلها .

ليست شجاعة :

ولا يتصور متصور أن اليهود يقاتلون بشجاعة أو استماتة وانما الذى يستميت الآن هم قادتهم اما الجندى داخل الدبابة فهو لا يرى شيئا وأمامه آلات يستخدمها فيظل يستخدمها الى أن تسقط عليه قنبلة فاذا هو يموت . فالأمر لم يعد مسألة شجـــاعة لمن يحاربون فى الدبابات وانما هى القيادة وكل من لديه أقل قدر من

الفكر العسكرى يرى أن اسرائيل قد اختارت اسوء مكان للمعركة اذ جعلتها تدور فى هذا المكان حيث الجيش المصرى قريب جدا من قاعدته والاسرائيلى بعيد جدا ، وقبل أن اتحدث عن تفسير ذلك غدا ان شاء الله فانى أريد أن أتحدث أولا عن المعجزة السياسية التى ترج العالم الآن رجا واعنى بها اجتماع العرب على قلب رجل واحد وتحديهم للولايات المتحدة .

المعجزة العربية :

بالأمس قررت السعودية والجزائر قطع البترول عن الولايات المتحدة وكانت ليبيا قد أعلنت مثل ذلك واليوم قطر وقد سبق الكل أبو ظبى والروح التى اصبحت تسيطر الآن على العرب من الخليج الى المحيط هو روح الكراهية الشديدة للولايات المتحدة وانها لجديرة بكل ذلك ، فلست أتصور على أى أساس تحارب أمريكا العرب الذين لم يؤذوها أو يسيئوا اليها . الحق ان هذا الذى تفعله أمريكا لم يشهد له التاريخ مثيلا فى الجبر والطغيان ، وهذا هو ما يجعلنى مطمئنا الى نتيجة هذا الصراع فنحن لا نعتدى على أحد ولا نظلم أحدا ، أما ان يفرض علينا أن تذلنا اسرائيل وتحتل بلادنا فهذا هو مالا يرضاه الله وهو يعبر الآن عن عدم الرضا .

— ٣ —

الاثنين ٢٢/١٠/١٩٧٣ م – ٢٦ رمضان ١٣٩٣ :

ذروة القتال ـ ايقاف القتال

وانهارت اسرائيل :

ومع مجيء اليوم السابع عشر للقتال انهارت اسرائيل فأعلنت فى مجلس الأمن الذى دعى على عجل بناء على دعوة أمريكا ، وقدمت اقتراحا بالاتفاق مع روسيا بايقاف اطلاق النار بعد ١٢ ساعة أى فى الساعة السادسة مساء بتوقيت القاهرة وكل هذا ماكان ليحدث وبهذه السرعة المفاجئة الا لأن اسرائيل انهارت نهائيا وطلبت من أمريكا ايقاف القتال فورا .

وغير ذلك لا يكون مفهوما فاسرائيل اقتصاديا كما اجمع الكل لا تحتمل تعطيل انتاجها أكثر من هذه المدة ، واذا كان بقدرتها أن تستمد من الخارج فلن يكون هذا الا لأسبوع آخر أو أسبوعين » أما من الناحية العسكرية فهى لا تستطيع تحمل الخسائر التى تتكبدها فى الطيارين وقائدى الدبابات وهى اذا كانت قد احتملتها حتى الآن فذلك لان قادة اسرائيل أخفوا هذه الخسائر عن الشعب.

ولقد سار كل شيء كما قدرته لهذه المعركة فى سيناء كانت حاسمة اذ لما بذلت اسرائيل آخر ما عندها وأرسلت التعزيزات تلو التعزيزات غير عابثين بالخسارة الفادحة ، والمصريون لا يتزحزحون خطوة واحدة الى الوراء ، أيقنوا أن هذا شيء جديد وخير لهم أن ينقذوا ما يمكن انقاذه والا أبيدوا عن بكرة أبيهم فاستغاثوا بأمريكا وأغاثتهم فكانت هذه الرحلة المفاجئة لكسينجر الى موسكو وحاول الامريكان أن يتظاهروا بالبرود فراحوا يعلنون ويسرفون فى الاعلان ان هذه الزيارة تتم بناء على طلب موسكو وراحت

اذاعات لندن وأمريكا تحدثنا عن طول المفاوضات وانها ستنتهى الى غير نتيجة على الاقل فى الوقت الحاضر ، وفجأة وبعد يومين اثنين تداعت الاحداث بالصورة التى قدمتها وفى جلسة واحدة يوافق مجلس الامن على الاقتراح الامريكى السوفييتى ما عدا الصين (امتنعت عن التصويت) واسرع مندوب اسرائيل يعلن فى لهفة موافقة اسرائيل .

وانى اكتب الآن عند الظهر أى انه لا يزال باقيا على ايقاف اطلاق النار ست ساعات وعندى انه لو تمكن الجيش المصرى من تصفية القوات اليهودية التى دخلت الى الضفة الغربية ، ثم وافقت على ايقاف اطلاق النار فى الموعد المحدد فان النجاح سيكون خمسمائة فى المائة ، اما اذا ظلت القوات الاسرائيلية وقبلنا مع ذلك ايقاف اطلاق النار فان نسبة النجاح ستظل ٢٠٠ × المائة ، اى أن النجاح هو فوق المتوقع وما كنا نرجوه أو نحلم به وحسبنا اننا لم نقهر اسرائيل فحسب بل وقهرنا أمريكا فى نفس الوقت والمهم الآن هو ايقاف اطلاق النار فى الموعد المحدد تماما .

جوهر القرار :

أما جوهر القرار فيقوم على توقف القتال فى ظرف ١٢ ساعة — مع بقاء كل من المتحاربين فى مكانه ، أى أن أمريكا لعقت قيئها عندما قالت (العودة الى خطوط ٦ أكتوبر) على أن يشرع فورا فى تنفيذ قرار مجلس الأمن (اياه) الذى يقضى بانسحاب اسرائيل من كل الأراضى التى احتلتها الى حدود آمنة .

ولم تطالب مصر فى يوم من الأيام ابتداء من سنة ١٩٦٧ الا ذلك ، والسؤال الآن ما هو الجديد فى كل ذلك ؟

والجديد هو :

١ – قيام الجيش المصرى بمعجزة عسكرية ستخلد فى التاريخ .

٢ — استعادة الشعب المصرى للثقة بنفسه وارتفاعه من جديد الى مستواه اللائق بأمجاده السابقة وانى أعتبر أن ما حدث هو أعظم هذه الأمجاد على الاطلاق ، وليس يشبهه الا معركة عين جالوت عندما استطاع الجيش المصرى أن يهزم التتار لأول مرة فى التاريخ محطما بذلك أسطورتهم كما فعلنا اليوم باليهود .

٣ — خروج العملاق العربى من القمقم وأصبح من الآن قوة يعمل حسابها ويرهب جانبها .

٤ — تحطم غرور أمريكا بعد أن فشلت بكل ثقلها فى ارهاب العرب، وبعد أن كانت تعتبر أن الشرق الأوسط هو المجال الحيوى لاسرائيل تفعل فيه ما تريد وستتولى أمريكا منذ الآن ردع اسرائيل اذا ارادت أن يبقى لها ظل فى البلاد العربية .

هذا هو بعض ما طرا على الموقف من عوامل كان عكسها على خط مستقيم هو ما كان وجودا قبل ٦ أكتوبر حيث كنا فى قاع الذل مجللين بالعار غارقين فى الفساد والانحلال والضياع .

مع السادات حتى أغمض عينى :

وهذا ما سوف يجعلنى مع السادات جنديا من جنوده ، تابعاً من اتباعه لانى أعتبر ذلك فرعا من ايمانى بالله فما دمت مقتنعا بأن الله قد اختاره لهذا الموقف فاننا نعبد الله بتكريم من اختاره للكرامة .

مصر تقبل ايقاف اطلاق النار :

وأعلن الآن أن مصر قبلت ايقاف اطلاق النار وهو أسعد خبر سمعته فى حياتى لأنه حفظ لنا النصر الذى حصلنا عليه ، ويضاعف فى صداقة الأصدقاء ويجعل الدنيا كلها تقف وراءنا .

— ٤ —

الأربعاء ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ م ـ ٢٨ رمضان ١٣٩٣ هـ :

وتألبت علينا قوى الشر

كنت واثقا ان نجاحنا الذى لا حد له سيؤلب علينا كل قوى الشر فان ما قمنا به هو خير واحدى سنن الطبيعة أن كل فعل له رد فعل فى الاتجـاه المضاد وهـذا ما حدث فبقـدر يقظة العرب واجتماعهم على قلب رجل واحد فقد أفزع هذا القوى المعـادية ، كل من وجهة نظر خاصة ، ومن هنا كانت المفاجأة بقرار مجلس الأمن لايقاف القتال ، لقد دعى مجلس الأمن وقرر فى ساعات لكى يقف القتـال ، وأعلنت اسرائيل انها توافق .

لقد كانت آخر لطمة لاسرائيل وأمريكا معا هو قطع الحبشة العلاقات السياسية مع اسرائيل .

الفصل الرابع

— ١ —

السبت ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ م ـ ٢ شوال ١٣٩٣ هـ :

وبدأنا أسبوعا رابعا ، حقا لقد بدأت حكاية وقف اطلاق النار تأخذ صورة عملية فثمة مراقبون وبدأت طلائع ما يسمى بقوات الطوارىء يصل الى مصر ولكن ذلك كله لن يعنى توقف القتال فآخر الاعيب اسرائيل عندما أصبح لها وجود فى الضفة الغربية أصبح معناه أن مصر لا يمكن الا أن تقاتل هذه القوات وان لم يحاربهم الجيش فسوف يحاربهم الشباب والفلاحون وطوب الأرض .
ولذلك فلست استطيع أن أتصور كيف يمكن أن يوقف القتال الا على أن تتركز القوة الاسرائيلية فى مكان محدد وهو ما لن تقبله اسرائيل فى بادىء الأمر على الاقل ولذلك فلنتوقع قتالا بعد فترة قصيرة ، وربما أقصر مما نتصور .

— ٢ —

الثلاثاء ١٩٧٣/١٠/٣٠ م ــ ٥ شوال ١٣٩٣ هـ :

وتمر الأيـــــــام

وهكذا أصبح الموقف الذى كنا نرصـــده بالساعات ، أصبح لا يمكن أن يرصد الا بالأيام ، وبعد أسبوع واحد من الآن سنرصده بالأسابيع :

القوات الدولية :

والمهم أن طلائع القوات الدولية قد وصلت وأخذت مكانها فى السويس والاسماعيلية وبور سعيد ومن المحقق الآن أن لاسرائيل قوات فى الضفة الغربية ولكن ذلك قد حدث كما قدمت بعد فوات الوقت ولا يصاح الا لكى يكون مادة للدعاية كأن يقال ان جولدا مائير وموسى ديان كانا يزوران هذه المنطقة وقد اعتدت أن أقول انه سـواء صح هـذا الخبر أو لم يصح فلا قيمة له على الاطلاق واسرائيل تخسر منه أكثر مما تكسب فجيشها فى الضفة الغربيـة هو كفأر فى مصيدة واذا كنا لم نبده حتى الآن فما ذلك الا لأن الدور الذى يناسبنا فى هذه اللحظات هو دور المنفذ لقرارات مجلس الامن ولا شك أن الترتيبات العسكرية توضع الآن للاجهاز على هذه القوة.

معارك أعصاب وسياسة :

ولا شك أن الفترة المقبلة ستشهد أعنف المعـارك السياسية وحرب الأعصاب ، وأسهم العرب فى ارتفـاع واسرائيل أصبحت منعزلة عن العالم فبلغ عدد الدول الافريقية التى قطعت العلاقات حتى الآن ٢٤ أما أصدقاء اسرائيل مثل انجلترا وفرنسا وبقيـة أوربا الغربية فهم لا يجراون الا على اعلان حيادهم . وليس الا أمريكا

من تقف الى جوارهم وبدأت اسرائيل تعلن أن أمريكا بدأت تضغط عليهم ، فأمريكا هى التى طلبت منهم ايقاف اطلاق النار ، وأمريكا ضغطت عليهم ليسمحوا بمرور قافلة غذاء للجيش الثالث الذى يزعمون أنه محاصر وكل هذه أكاذيب وتمحكات فان أمريكا لا عمل لها الا أن تدللهم ومنذ أيام هددت بافناء العالم من أجل سواد عيونهم فكل حديث عن أن أمريكا تضغط عليهم هو محض اختلاق يسترون به فشلهم .

مقـــالات :

بدأت الصحف تنشر لى مقالات فى معنى هذه المذكرات بدأت بالجمهورية بناء على طلب الأخ الحبيب مصطفى بهجت بدوى ثم بالأهرام ولكن النشر الرائع جاء فى جريدة الأخبار بهمة موسى صبرى الذى نشر لى مقالتين (يوم الجمعة ويوم الثلاثاء) وأبرز المقالتين ابرازا حسنا .

— ٣ —

الأربعـاء ٣١ أكتوبر ١٩٧٣ م ــ ٦ شوال ١٣٩٣ هـ :

مسكينة اسرائيل

وأنا اقول مسكينة لكى أبادر لأقول « جاتها سكينة » ان مثلها الآن مثل المجرم سفاك الدماء المتوحش عندما يرى الانسان نفسه فى لحظة اعدامه ينسى جرائمه .

اقول ذلك بمناسبة ما سمعته هذا الصباح المبكر (الثـالثة والنصف) سمعت من راديو امريكا نبأ قرب وصول جولدا مائير الى أمريكا لمقابلة نيكسون غدا اى الخميس والصحيح انه كان يجب أن يقال انها استدعيت الى امريكا استدعاء ــ وبالأمس والأمس فقط كانت اسرائيل لا تزال تستعمل أساليبها القديمة فتعلن أن وزير خارجيتها « أبا ايبان » سيزور واشنطون فى أوائل الشـــهر القادم (يا ولد !) وفجأة وبدون امهال أسرائيل اربعـــة وعشرين ساعة تستدعى رئيسة الوزراء نفسها الى أمريكا فالوقت لم يعـــد يحتمل « دلع » اسرائيل بعد أن ظهر بوضوح أنها تعمل على خراب الدنيا كلها .

زيارة وزيارة :

وسواء أكانت زيارة جولدا مائير تتم بدعوة أو من تلقاء نفسها ؟ فمـــا أعظم الفرق بين زيارة قامت بها جولدا مائير لامريكا منـــذ شهرين أو نحو ذلك وما سوف تكون عليها زيارتها هذه المرة ، أما فى المرة السابقة فقد كان يهود أمريكا يتسابقون لنيل حظوة آخر أنبياء اسرائيل . ولم يتورع نيكسون عن التحدث عن الشرف الذى حظى به عندما قابل هذه المرأة العظيمة ، وكان لا يعرف كيف يعبر

عن مشاعره بعد هذا اللقاء ، أى والله هذا ما تجرعناه عقب هـذه الزيارة .

واليـــوم :

تستدعى جولدا مائير كما يستدعى أى متهم للمثول أمام رجال الشرطة ، والشرطة هنا هم السيد نيكسون ، ولا جدال أنه سيكون مؤدبا ولكن الذى لا شك فيه انه سيقول لها ما معناه : اسمعى بقى يا شاطرة ، الله الله على الجد والجد الله الله عليه ، لم يعد هناك وقت للدلع والمناورات والأكاذيب والتراهات ، ان اسرائيـل يجب أن تنسحب وفورا لحدود ٢٢ أكتوبر حتى يمكن عمـل الترتيبـات للانسحاب الكامل بعد ذلك . ولا يتصور متصور انه سيقول ذلك تحت ضغط الا ضغط حلفائه فى أوربا الغربية بل وضغط الشعب الأمريكى نفسه بعد أن اكتشف الجميع حماقة بل اجرام أشقاء العالم كله من أجل سواد عيون اسرائيل . لقـــد حاولت امريكا وأوروبا الغربية قبل قيام الأزمة أن يهونوا من شـــأن البترول العربى ، وراحوا يهددون بالبحث عن مصادر جديدة للطاقة ، وعن البترول الذى سيغنى الدنيا كلها من بحر الشمال ، وقال قائلهم « فليشرب العرب بترولهم » وقد كان كل ذلك تهويشا ذلك أن كل صنوف الطاقة لا يمكن أن يستغنى عنها الانسان فحيث وصل الانتاج بالالات الى ذروته ، فان البشرية لا تزال فى حاجة الى القوة العضلية للانسان وحيث اصبح كل شىء يدور بالبترول فان ذلك لم يلغ دور الفحم الحجرى بل حتى الخشب كوقود .

فكل حديث عن الاستغناء عن البترول هو حديث خرافة فان مئات الملايين من السيارات والطائرات ستظل فى حاجة للبترول لتسير ولن تستبدل بطاقة شمسية أو نووية والامريكان والاوربيون يعلمون ذلك اكثر منا ولكنهم كما قلت « يهوشون » اعتمادا على أن العرب سيفزعون من هذا الحديث ، ولأنهم من الناحية الأخرى

لا يتصورون كيف تستغنى السعودية مثلا عن بحر الذهب الذى ينصب فيها انصبابا ، أو كيف تمضى الجزائر فى برنامج التنمية بدون دولارات أمريكا ، وهنا تكمن حماقة الأمريكان وجهلهم ، وانهم حديثو عهد بالنعمة والحضارة . ومن هنا جهلوا طبيعة العربى وانه يؤثر كرامته على كل نعم الدنيا المادية ، انهم لم يستطيعوا أن يتصوروا ان السعودى والجزائرى وكل سكان شبه الجزيرة العربية وفى العراق يؤثرون الموت جوعا على سبيل المثال من ان تمتهن كرامتهم ولذلك فعندما كان الملك فيصل يحذر وينذر ، لم يتوقف الامريكان لحظة واحدة ليتصوروا ان الملك فيصل كان جادا . واليوم فقط هم يعرفون كم كانوا مخطئين كما أخطأوا فى كل شيء ، ومن هنا تعالى الصراخ ليس فقط فى أوربا الغربية بل فى أمريكا نفسها ،وليس استدعاء مائير بهذا الأسلوب الا لافهامها ان أمريكا ليست على استعداد لتدمير مصالحها ومصالح الدنيا كلها من أجل سواد عيون اسرائيل . المهم ان مائير هذه المرة ستبدو فى أحسن أحوالها عند يهود أمريكا انها عجوز شمطاء أما فى نظر الدنيا كلها فلن تكون صورتها الا صورة الساحرة الشريرة عدوة البشر وهى صورتها الحقيقية .

وتكلم أنور السادات :

وتكلم أنور السادات منذ قليل على ملأ من الدنيا كلها وقد كان كما أصبح شأنه رائعا فوق الروعة وأعظم ما يذبح به اسرائيل ذبحا ويجهز به عليها هو فى اثبات كم هو رجل سلام لا يريد مزيدا من الحرب أو الدماء ولكنه يطالب بأرضه وهكذا يظهر اسرائيل على حقيقتها دويلة عصابات وقطاع طرق يعيشون على سفك الدماء لاغتصاب الحقوق والكرامات وليس يعنيهم بل لعله من أعز أمانيهم أن يدمروا العالم .

— ٤ —

الجمعة ١٩٧٣/١١/٢ م – ٨ شوال ١٣٩٣ هـ

مع دخول الحرب أسبوعها الرابع صار من الواضح أن المسألة لم تعد مسألة اسرائيل فهى أهون من أن تعرض مصالح الدنيا للخطر كما لم تعد مسألة حق أو عدل ، وانما هى مسألة أمريكا نفسها التى باتت تدرك ان حصول العرب الآن على بوصة نجاح فان ذلك معناه انهزامها هى شخصيا . ومن هنا فليس عندها مانع ، بل هى ترحب أن تضرب اسرائيل ضربة أخرى وأن تحصل على بعض انتصارات ولا مانع بعد ذلك أن تحول أمريكا بينها وبين الاجهاز على العرب ، ذلك هو ما يساور أحلامهم بل ويخططون له وهذا هو ما أصبحت تدل عليه كل الدلائل ، ولم توافق أمريكا واسرائيل على ايقاف اطلاق النار الا لتعطى لاسرائيل فرصة لتلتقط انفاسها ولكى تكون هى البادئة بالضرب هذه المرة ومن هنا فلست استبعد الآن فى أى لحظة أن نسمع على هجوم ساحق تشنه اسرائيل بمعاونة مرتزقة من كل انحاء العالم والأمريكان على رأس الكل ، ولكنى من ناحية أخرى أؤكد أن ذلك كله لن يفيد أمريكا أو اسرائيل بشىء الا أن يكبدونا بعض الخسائر ونحن لها . ان القضية الآن أصبحت واضحة فى نظر الدنيا كلها وهى اننا نطالب بحقنا فى أراضينا واحتلال اسرائيل لمزيد من الأرض لن يهزم ارادتنا .

القضاء النهائى على اسرائيل :

هذا الذى قدمته هو بفرض أن اسرائيل لا قدر الله حققت نجاحا عسكريا من نوع ما فذلك لن يفيدها فى شىء بل سوف يزيد فى كراهيتنا لها وكراهة أمريكا التى سندمر كل مصالحها وهناك

الاحتمال الثاني وهو أن نثبت نحن أمام ضربة اسرائيل المقبلة وأقول فقط نصمد بمعنى ان لا تنهار جبهتنا العسكرية ، ففى هذه الحالة لن يكفينا ويكفى العالم (باستثناء أعداء المسلمين) الا تصفية اسرائيل والعودة الى الصيحة القديمة « القاء اليهود فى البحر » .

وأخيرا جاءت كينيا :

وقطعت كينيا بدورها العلاقات مع اسرائيل وقد كانت نيروبى عاصمة لعدة أيام سابقة مركزا رئيسيا من مراكز الصهيونية العالمية بحيث فزعت أنا شخصيا من عناوين الصحف اليهودية التى كانت تصدر فى نيروبى باللغة الانجليزية ولم يبق الآن بعد أن قطعت ٢٧ دولة علاقاتها لم يبق سوى ست دويلات احداها ليبريا وهى محمية أمريكية والباقى دويلات خاضعة لجنوب أفريقيا أو روديسيا .

وغنى عن البيان أن قطع العلاقات السياسية لا يؤثر على اسرائيل ما بقيت العلاقة الاقتصادية قائمة ، وربما كان قطع العلاقات مع أمريكا نفسها آت لا ريب فيه اذا استمر النزاع بهذه الحدة .

مصير نيكسون :

ولعل الذى رجح من جديد كفة اسرائيل فى أمريكا هو تدهور مركز نيكسون فى أمريكا الى الحد الذى جعل شغل أمريكا الشاغل الآن هو محاكمة نيكسون ولم يعد أمام هذا المجرم الا أن يتقرب الى اليهود بعمل كل شيء لنصرة اسرائيل بحيث تخرج من لدنه لتكون أكثر تبجحا وقحة ما كانت لتجرؤ على أن تقول كلمة واحدة عما قالت لو لم تكن قد حصلت منه على تأييد وتشجيع « انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » .

الفصل الخامس

— ١ —

الخميس ١٩٧٣/١١/٨ م ـ ٤ شوال ١٣٩٣ هـ

كيسنجر فى مصر ـ حرب أم سلام

ها انذا أعاود الكتابة بعد أسبوع كامل من كتابتى لآخر مرة ولعل ذلك فى حد ذاته يلخص الموقف ، وأعود فأستأنف الكتابة فقدحدثت على الصعيد السياسى تغييرات مثيرة ، ولنبدأ بأقلها أثارة .

من أفريقيـــا :

لا نكاد نستثنى دولا نظن انها ستحتفظ بعلاقتها باسرائيل حتى تفاجئنا بقطع العلاقة وكان آخر ما حدث من هـــذا القبيل هو ليبريا فقد قطعت علاقتهـــا وأعلن ســاحل العـــاج انه ســيحدد موقفه اليوم وذلك يعنى على الارجح قطع العلاقات ، أى انه لا يبقى بعد ذلك الا ملاوى وروديسيا وجنوب أفريقيا .

حرب البترول :

ولكن الشيء الرهيب الذى اخذ أبعادا لم تطف لنا فى خيال هو أثر استعمال العرب لسلاح البترول وقد سماه الأوربيون تحت تأثير الصحف التى تخضع لسلطان اليهود « ابتزازا » كأن ليس من حق العرب أن يدافعوا عن انفسهم ، فليسموها كما يشاءون فهم خصوم العرب ، انهم يريدون شيئا وينفذون شيئا آخر ، فهولندا على سبيل المثال تستغيث بهم وتطالبهم بموجب المواثيق فيما بينهم أن يساعدوها ومع شديد رغبتهم بل وحرصهم أن يساعدوها راوا سبيلا واحدا لمساعدتها كما سوف أشرحه وهو أن يتنصلوا بداءة ذى بدء من مساعدة أسرائيل ويعلنوا وانوفهم راغمة فى أقوى مظاهرة

دولية حدثت حتى الآن مساندتهم الكاملة لوجهة نظر العرب ولكنى قبل أن أشير الى ما قالوا أريد أولا أن أسجل بعض مظاهر السيطرة العربية التى أخضعت العالم كله . فدول أوربا التى كانت تمون الأسطول السادس الأمريكى بحاجته من البترول قالت له « مانعطلكش » أى انه أصبح على الاسطول السادس أن يحصل على حاجته من البترول من أمريكا نفسها ، وكذلك فعلت اليابان من ناحيتها فعلى الأسطول السابع فى المحيط الهادى وبقية القواعد الأمريكية أن تستورد بترولها من أمريكا حتى كندا توقفت عن امداد الولايات المتحدة انصياعا لاوامر العرب التى حذرت من اعادة تصدير البترول لمن قطعت عنهم البترول وهما هولندا والولايات المتحدة .

نيكسون يصدر قرارات التقشف :

وحتى الولايات المتحدة نفسها زلزلت الأرض زلزالها تحت أقدامها وتوعدهم نيكسون « لا بارك الله فيه » توعد الأمريكان بشتاء قاس واعلنهم انه سيتخذ عديدا من الاجراءات لمواجهة أزمة الطاقة التى ظهر انها اسوأ بكثير مما كانوا يتصورون وهكذا سيشرع الشعب الأمريكى لأول مرة يدرك كم يكلفه اليهود ويستعبدونه ويذلونه ، ان أعضاء الشيوخ الامريكان والنواب ما زالوا يشقشقون ولكنا سنرى والأيام بيننا .

ماذا قالت انجلترا وفرنسا وبقية دول السوق :

ولنرجع الى موضوع بيان دول سوق اوربا المشترك وعلى راسها انجلترا وفرنسا ومن بين الأعضاء المانيا وايطاليا وهولندا ، وقبل أن نقول ماذا قالوا أريد أن اذكر بأن انجلترا وفرنسا هما اللتان دبرتا العدوان على مصر ١٩٥٦ بالاتفاق مع اسرائيل واليوم هما اللتان تقفان فى وجه اسرائيل فقد صدر بيان من دول السوق بالاجماع يطالب اسرائيل فى أقوى عبارة واصرمها أن تلتزم بكل

قرارات مجلس الأمن الجديد منها والقديم ويأمرونها بالانسحاب من كل الأراضي التى احتلتها ، وبعد أن كان الشعب الفلسطينى قد تحول الى لاجئين وأصبحت قضيته هى قضية لاجئين تحدثت أوربا وبالفم المليان عن حقوق شعب فلسطين أن اسرائيل أصبحت لا تعرف تلاقيها منين ولا منين ، فهذه الدول العربية والدول الافريقية ودول عدم الانحياز والدول الاشتراكية وأخيرا ها هى دول أوربا الغربية ، كلها كلها تقف ضدها ولكن لأن اسرائيل ليست دولة وانما هى مجرد عصابة فهى تبنى حساباتها على أنها عدوة المجتمع وكل اعتمادها هو على ما تستطيع أن ترتكبه من جرائم وما بقيت أمريكا تساندها بلا قيد ولا شرط فستمضي فى جرائما .

وبدت أمريكا وجاء كيسنجر :

ولكن الحديث عن أمريكا والمفاجأة التى فوجئنا بها عقب زيارته موضوع يطول وقد تعبت فلأرجىء الحديث الى الغد ولكى تكون أبعاد الزيارة قد تكشفت وظهر الاتجاه نحو الحرب أو السلام لأننا فى انتظار كلمة من اسرائيل فاما أن توافق على ما يبدو أن أمريكا قد اتفقت عليه مع أنور السادات وفى هذه الحالة سيكون السلام بالشروط العربية ، واما قد يحلو لاسرائيل أن تناور لتكسيب وقتا وعندها ستكون الحرب ، فلننتظر حتى الغد .

— ٢ —

السبت ١٩٧٤/١١/١٠ م – ١٦ شوال ١٣٩٣ هـ

الاتفاق على وقف النار

كان من الخير ان أتأخر عن الكتابة عن زيارة كيسنجر حتى اليوم فقد ظهر كل شيء واتضح كل شيء لقد فوجئنا بعد التقـاء كيسنجر بالسـادات بتطورات مفاجئة فقد أعلن عن عودة العلاقات بين مصر وامريكا وقد علمنا الآن أن ذلك هو ثمن الحل الذى اذيعت نصوصه اليوم والذى يجرى الآن توقيعـه أو فى وقت لاحق . وتتظاهر اسرائيل بأنها غير راضية عنه ولكن أمريكا ما كانت لتقترحه لولا انه مفيد لاسرائيل فليس هناك ما أصبح يفزع اسرائيل أكثر من أن تشتعل نار الحرب ثانية ويدور الاتفاق على عودة اسرائيل الى خطوط ٢٢ اكتوبر وهذا يعنى فى الدرجة الأولى عودة انتظـام المواصلات بين القاهرة والسويس وجيشنا على الضفة الشرقية . وذلك كله تمهيدا للانسحاب النهائى . ان اسرائيل تتصور أنه سيكون فى استطاعتها أن تكسب شيئا ولكن الخطأ فى حسابها أن الدنيا كلها وعلى رأسها أمريكا لا يمكن الا أن تجبرها على الانسحاب ولست أريد أن أستفيض فى الحديث الآن وعلينا أن نرقب الساعات القادمة .

— ٣ —

الأحد ١١ /١١/١٩٧٣ م ـ ١٧ شوال ١٣٩٣ هـ :

وجاءت النهاية المحتومة

واخيرا جاءت النهاية المحتومة بأن أعلنت اسرائيل وانفها فى التراب أنها ستوقع اتفاقية ايقاف اطلاق النار اليوم الساعة الثالثة بعد الظهر بشروطها الستة كما أعلن عنها وكما تمردت عليها اسرائيل طوال أربع وعشرين ساعة لم تكسب خلالها الا مزيدا من الذل والحق أن اسرائيل معذورة اذ تتردد كثيرا قبل أن توقع على هذه الاتفاقية والتى تمثل الخطوة الأولى فى طريق اعدام أحلام اسرائيل وعودتها لتقبع فى ركن من فلسطين فى انتظار جولة ثانية ربما بعد عشرين أو ثلاثين سنة حيث يمحى اسم اسرائيل كدولة .

نفســك فى ايه ؟

واللطيف أن اتفاقية وقف اطلاق النار قد حوت نصا يذكرنى بما يقال للمحكوم عليه بالاعدام قبل شنقه عندما يسألونه « نفســك فى ايه » ففى الاتفاقية اشارة الى آخر مظاهر العز الذى كانت تعيش فيه اسرائيل ، وهو أن يكون لها مراقبون مع ممثلى هيئة الامم المتحدة للتأكد أن لا يدخل الى مدينة السويس وبالتالى الى الجيش الثالث الا الأغذية والأدوية وهو اجراء لا قيمة له من ناحية الموقف العسكرى ولو كانت اسرائيل فى كامل وعيها لما طالبت بهذا الحق فضلا عن أن تتمسك به لانه لا يسبب لها الا الضرر ولكن اسرائيل كما قلت هى الغريق الذى يتشبث بقشة . فان هذا الاجراء لن يفيد اسرائيل فى شىء فما دام أن هناك وقف لاطلاق النار فان الجيش الثالث ليس فى حاجة الى أسلحة أو ذخائر أكثر مما عنده ، أما فى حالة اندلاع نار الحرب فلن يستطيع أحد أن يحول دون تموين

الجيش الثالث بالسلاح وانسحاب اسرائيل الى خطوط ٢٢ أكتوبر سيجعل ضباطها عند نقطة التفتيش أول أسرى للحرب ومن الناحية المقابلة فان وجود هذا النفر من اليهود بالقرب من مدخل مدينة السويس من شأنه أن يؤصل الكراهية والحقد فى نفوس المصريين، وقد ذاقت اسرائيل مرارة هذا الحقد عند اجتياح خط بارليف .

فأنت ترى أنه لا جدوى من هذا النص ولكن اسرائيل التى تترنح قد طالبت به لأنه يصلح أداة للدعاية ولو لبضعة أيام .

بقى ان اسرائيل وأمريكا معا تساورهما الأحلام أنه بعد ايقاف القتال سيكون فى استطاعتهما أن يجمدا الموقف أو على الأقل يطيلا فى الاجراءات أطول مدة ممكنة ، وهنا يظهر سوء تقدير اسرائيل وأمريكا معا حيث لا يدخلان فى حسابهما أن ما كان يمارس بالأمس لم يعد صالحا اليوم ، فهناك الدنيا كلها اليوم وعلى رأسها أوربا الغربية واليابان تريد اطفاء هذا الحريق قبل أن يتطور الى ما لا يحمد عقباه . ان قرار الدول العربية المصدرة للبترول وعلى رأسها السعودية قد أعلنت أن لا بترول قبل انسحاب اسرائيل — وفى تصورى أن هذا الموقف الصلب للملك فيصل هو الذى جعل أمريكا لا تخضع هذه المرة لاسرائيل وتصر على وجوب تنفيذ الاتفاقية التى تم التوصل اليها بنصها — لأنه اذا كانت اسرائيل ستبدأ منذ البداية فى المراوغة فكيف يمكن حمل العرب على تخفيف تشددها فى موضوع البترول . ان الموقف أصبح من الحدة والوضوح بحيث أصبح على أمريكا أن تختار اما أن تحتل منطقة الخليج والسعودية لكى تؤمن للعالم احتياجاته من البترول ، وليس يحول بين أمريكا وبين فعل ذلك الا أنها لا تعرف ماذا يؤدى اليه من مضاعفات فلم يبق أمام أمريكا الا أن تسرع فى حل الأزمة ، ولا حل لها الا بتطبيق قرار مجلس الأمن القاضى بالانسحاب من كافة الأراضى العربية ، ولقد اعتادت اسرائيل (أيام العز) أن تفسر القرار على هواها ، واليوم يعلن ديان أن اسرائيل على استعداد لاعطاء تنازلات كبيرة ثم يسرع

هذا الدجال ليقول تنازلات كبيرة جدا تصوراً منه أن أحدا لا يزال يعتبره هو أو اسرائيل شيئا لا يزال بقدرته أن يتحدث عن التنازلات اى تنازلات هذه التي يتحدث عنها هذا الكلب الاجرب . ان الدنيا كلها قد اجمعت على وجوب انسحاب اسرائيل من كافة البلاد العربية والعودة الى حدود ما قبل ٥ يونيو وقد كانت اسرائيل لا يهمها العالم ما دامت أمريكا معها ، وهاهى أمريكا قد أصبحت ملتزمة بتطبيق قرار مجلس الأمن والذى لم يعد له الا تفسير واحد وهو الانسحاب الى خطوط ما قبل ٥ يونيه بعد ان أضيف اليها والمحافظة على حقوق شعب فلسطين ويالها من كلمة تتسع لكل شيء .

وبعد :

فسوف أظل من الآن وحتى الساعة الثالثة على أحر من الجمر وهو الموعد المحدد لتوقيع اتفاقية وقف اطلاق النار فاذا تم ذلك بالفعل ان شاء الله فسوف يكون ذلك نهاية الفصل الأول من مأساة نهاية اسرائيل .

حطين وعين جالوت :

بقى أن اسجل هنا وجه الشبه بين معركة ٦ اكتوبر أو ١٠ رمضان وبين معركتى حطين وعين جالوت ولست أعرف بأى اسم ستذهب هذه المعركة فى التاريخ فان هناك أسماء ثلاثة يصلح كل منها اسما للمعركة أولها اسم « الشرارة » وهو الاسم الرمزى الذى أطلق على المعركة وهى فى دور التخطيط وهناك اسم « العبور » وصفا للعملية التى تمت بهذا النجاح المعجز أو معركة السويس باسم المكان الذى دارت فيه المعركة أيا كان الاسم الذى سوف يطلق عليها فهى معركة حاسمة تماما كمعركتى حطين التى هزم فيها الصليبيون ومعركة عين جالوت التى هزم فيها التتار . ان الكثيرين لا يعرفون أن الحروب الصليبية استمرت اكثر من قرن

بعد معركة حطين ، وكذلك الحال بالنسبة لعين جالوت ولكن المهم والذى جعل هاتين المعركتين حاسمتين هو أن حاجز الخوف قد تحطم فى كلتا الموقعتين وأدرك العرب أنه باستطاعتهما أن يحصلوا على النصر ، ان صلاح الدين نفسه الذى انتصر فى حطين هـزم بعد ذلك فى عكا ولكن موجة المد الصليبية كانت قد انتهت ، وكذلك الحال فى موضوع التتار فقد عادوا فيما بعد فى صورة تيمور لنك ولكن كل شىء كان قد تبدل فهو لم يجرؤ على سبيل المثال أن يفكر فى مهاجمة مصر .

ذلك هو الشأن فى معركة العبور فى ٦ أكتوبر لقـد تحطمت المشاريع والخطط الصهيونية الى غير رجعة ، وهكذا سـتبقى اسرائيل لفترة ما ، ولكنه بقاء أصبحت نهايته محتومة . وهكذا فى اليوم الحادى عشر من نوفمبر عام ١٩٧٣ الموافق ١٧ شوال عام ١٣٩٣ أقول ما قلته فى اليوم الأول بعد قيام الحرب أى يوم الأحد ٧ اكتوبر « نهاية اسرائيل » وأسجد لله شكرا أن أبقانى على قيد الحياة لأرى وأشهد وأسجل للتاريخ .

لا يزال الكتاب مفتوحا

هذه كلمة أكتبها خصيصا لدار الشعب وجميع العاملين فيهـا الذين اخرجوا هذا القسم من مذكراتى التى أكتبها منذ عشرين سنة الى النور ـ فلهم جميعا خالص شكرى وانى أخط الآن هذه السطور فى آخر نوفمبر بعد أن راجعت الفصول الماضية فلم أر فيهـا ما يحملنى على تغيير حرف واحـد فكل شىء لا يزال يدور فى مجال توقعاتى ، فالمعركة الدائرة الان لم تعد تدور ضد اسرائيل فهى أهون من ذلك ولو لم تكن القوى التى تقف وراء اسرائيل تمدها بالمال وكل متطلبـات الحيـاة لانهارت اسرائيل لا أقول كدولة ولكن كمجتمع . فالحرب تجرى الآن بين العرب وبين من هم وراء اسرائيل ، وقد أظهر العرب قوتهم وصلابتهم التى اكسبتهم احترام العالم وكان آخر ما فعلوه من هذا القبيل هذا الحشد الرائع الذى تحقق فى الجـزائر وأصدر هذه القرارات الجديرة بأمة عظيمة وأنا أرجو كل من يطالع هذا الكتاب أن يتحـلى بالصبر وأن لا يتعجل الأمور فان ما يحدث الآن يغير كل موازين القوى فى العـالم وليس ذلك بالشىء الهين أو اليسير فلا مناص من اتاحة الوقت الكافى ليروض العالم نفسه على الحقائق الجديدة .

أما بالنسبة لاسرائيل فمـا أسـعدنى ان اؤكد لمواطنى أنها ماتت وانتهى الامر ، ومن السذاجة أن نتصور أن أحلام الصهيونية التى ظلت تعمل لهـا منذ عشرات السنين ستختفى فى شهرين فلننتظر على الأقل ما سوف يصنعه (الجنرال شـتاء) والذى يبدأ فى النصف الثانى من ديسمبر ، سوف يخرج أوربا وامريكا نهائيـا من فلسفة الصهيونية وعندها فسوف تعود اسرائيل لحجمها الطبيعى دويلة مسخوطة تقبع حول تل أبيب وحيفا .

ومرة أخرى أريد أن أذكر ان الله قد نصرنا عندما عدنا اليه وراحت مساجـدنا تغص بمئات الألوف من أبناء الجيل الجديد ، فلنتمسك بحبل الله المتين ولنسبحه ونحمده ونكبره اناء الليل وأطراف النهار .

أحمد حسين

٣٦ شارع الروضة ـ القاهرة

كتب للمؤلف

كتب سياسية :

١ ـ ايمانى (طبعتان) نفدتا
٢ ـ الارض الطيبة (نفد)
٣ ـ الاشتراكية التى ندعو اليها (نفد)
٤ ـ قصة مصر (بالانجليزية طبع نيويورك) .
٥ ـ رسالة الى هتلر بالانجليزية والعربية (طبع نيويورك) .

كتب اجتماعية وعلمية :

٦ ـ الزواج والمرأة ـ بحث فى حقوق المرأة السياسية والاجتماعية فى الاسلام .
٧ ـ رسالة فى الحرب .
٨ ـ نحو المجد ـ بحث فى العلم والاقتصاد .
٩ ـ الطاقة الانسانية . قال عنه العقاد انه أعظم ما طالع فى سنواته الأخيرة من كتب عربية او افرنجية . ثلاث طبعات .
١٠ ـ فى الايمان والاسلام . أربع طبعات احداها بالانجليزية .
١١ ـ تاريخ الانسانية .
١٢ ـ الحج ، أسراره ومناسكه .
١٣ ـ الأمة الانسانية .
١٤ ـ قضايا الرأى فى الاسلام
١٥ ـ العلم والمال فى الاسلام .

كتب رحلات :

١٦ ـ مشاهداتى فى جزيرة العرب .
١٧ ـ يقظة العملاق ـ رحلة فى آسيا .
١٨ ـ أمة تبعث ـ رحلة فى الهند .
١٩ ـ من وحى الجنوب ـ (رحلة فى جنوب السودان) .

كتب قانونية :

٢٠ ـ حكومة الوفد ـ مرافعة .
٢١ ـ قضية مقتل النقراشى (مرافعة) .
٢٢ ـ مرافعة احمد حسين فى قضية التحريض على حرق القاهرة .
٢٣ ـ علاقات العمل وهيئات التحكيم .
٢٤ ـ مجموعة تشريعات العمل .
٢٥ ـ قضية التحريض على حريق القاهرة ـ وثائق وأحكام ومقالات .

مذكرات :

٢٥ ـ فى ظلال المشنقة .
٢٦ ـ وراء القضبان .
٢٧ ـ فى ظلال المشنقة .

مسرحيات :

٢٨ ـ من الحياة ـ مسرحيتان من ذات الفصل الواحد .
٢٩ ـ نور يسطع فى الظلام (مترجمة عن تولستوى) .

القصة الطويلة :

٣٠ ـ أزهار (قصة مصر فى الثلاثينات) .
٣١ ـ الدكتور خالد (قصة مصر خلال الحرب العالمية الثانية) .
٣٢ ـ واحترقت القاهرة (قصة مصر من الحرب حتى قيام الثورة) .

آخر المؤلفات :

٣٣ ـ نبى الانسانية .
٣٤ ـ تفسير جزء عم .
٣٥ ـ حقوق المرأة فى الاسلام .
٣٦ ـ الاسلام ورسوله بلغة العصر .
٣٧ ـ الاسلام والشباب .
٣٨ ـ لماذا الاسلام .

وجميع هذه الكتب اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

٣٩ ـ نصف قرن مع العروبة وقضية فلسطين .
٤٠ ـ تأملات . طبع المكتبة العصرية ببيروت .
٤١ ـ موسوعة تاريخ مصر ثلاثة اجزاء طبع دار الشعب .